التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 192 السنة 21 - نوفمبر 2023

غزّة الشاهدة والشهيدة

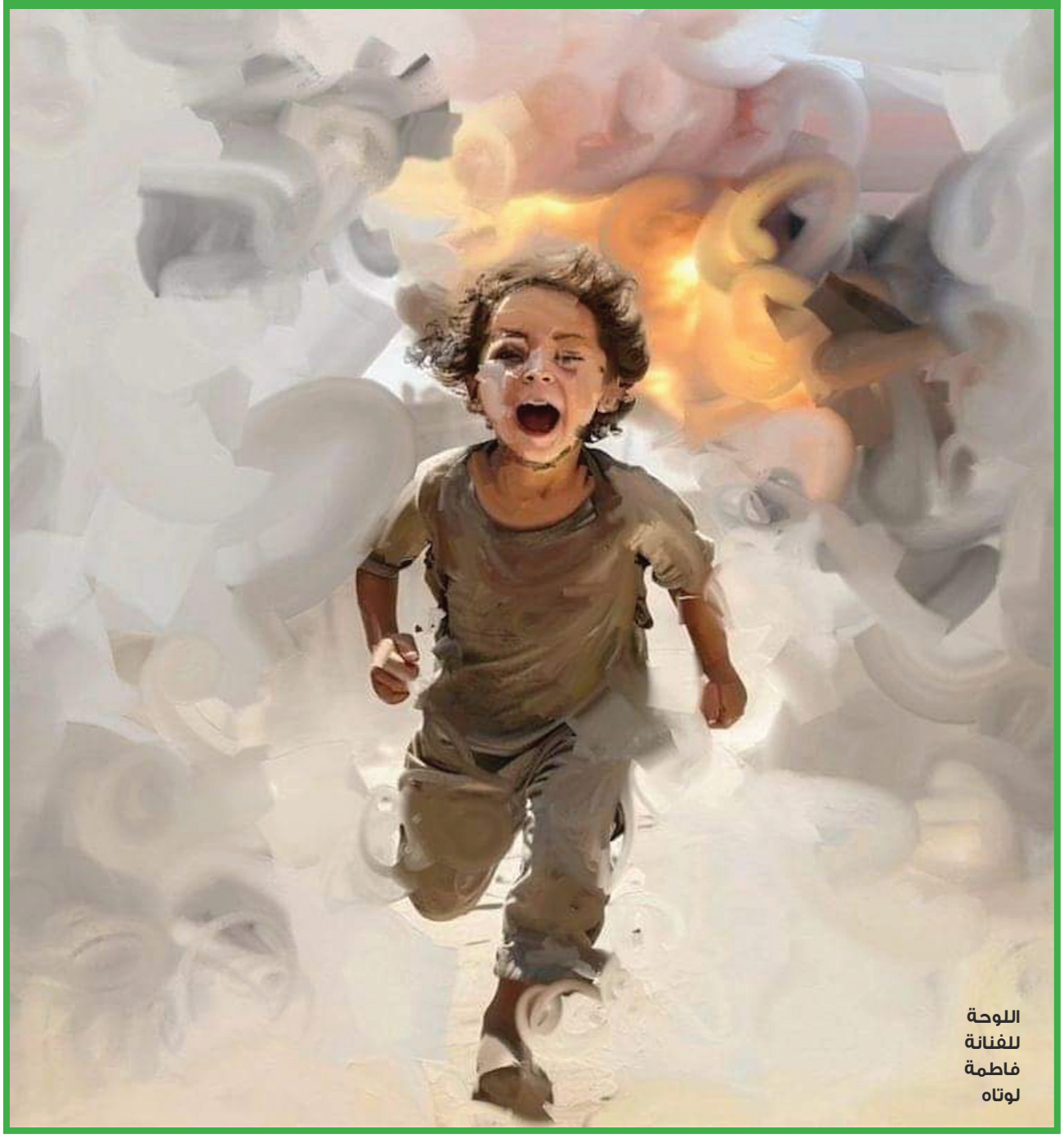

اللوحة للفنانة فاطمة لوتاه

موقفنا

فلسطين بوصلة شعب البحرين

ما من قضية يُجمع عليها شعب البحرين بكل مكوّناته واتجاهات المجتمع فيه، كالقضية الفلسطينية، وفي كلّ مرة تتعرض فيها غزّة الصامدة أو القدس، أو أي مدينة في الضفة الغربية المحتلة لعدوان صهيوني، سواء من جيش العدو أو من شراذم مستوطنيه، يهبّ البحرينيون للتعبيرعن تضامنهم مع أشقائنا في فلسطين ونصرة قضيتهم العدالة. وبعودة إلى الوراء نجد أن أهل البحرين، ومنذ اغتصاب فلسطين من الصهاينة، وقفوا مع شعبها، وقدّموا ما استطاعوا من عون له، بل أن البعض منهم تبرع للقتال إلى جانب الفلسطينيين.

وهذا الموقف الشعبي البحريني يتجسد، من جديد، وبكل قوّة، في الوقوف إلى جانب فلسطين منذ عملية السابع من أكتوبر، وإدانة ما تشنّه قوات الاحتلال في قطاع غزّة من حرب إبادة بالمعنى الحرفي للكلمة، وهو أمر لا يخفيه قادة الكيان، الذين جاهروا، ومنذ البدء، بخططهم لتدمير القطاع وإبادة وتهجير الساكنين فيه، ورسم خريطة جديدة، وها هو القصف الوحشي مستمر، منذ أكثر من ثلاثة أسابيع، للمباني السكنية والمستشفيات والمدارس التي تحوّلت إلى ملاجىء للمدنيين الذين دمرت بيوتهم، وما انفكّ قادة العدو في تكرار القول بأن ما ارتكبوه حتى الآن من جرائم ومجازر ليس سوى البداية لما هو آت، حين يجتاحون القطاع برياً.

ويمضي المعتدون الصهاينة في غيّهم بدعم أمريكي وغربي مشين، لم يقف عند حدود إعاقة صدور مواقف دولية منددة بالهمجية الصهيونية، وهي المواقف التي يُجمع عليها القطاع الأوسع من الرأي العام العالمي، ناهيك عن عشرات الدول، التي صوتت في الجمعية العامة للأمم المتحدة لصالح القرار المقترح من الأردن، والمُطالب بوقف العدوان على غزّة وحماية المدنيين، وللأسف فإن الموقف الرسمي العربي ما زال أضعف بكثير من المطلوب في هذه اللحظة التاريخية الفاصلة، وسمعنا تصريحات عربية مخزية تدافع عن العدو وتبرر له عدوانه.

ويأتي كل ذلك على خلفيّة تفكك وهشاشة منظومة الأمن العربية، بعد ازدياد الدول المطبعة مع الكيان، ومحزن ومثير للغضب أن تكون بلادنا إحدى هذه الدول، على النقيض من إرادة شعبنا، الذي كانت فلسطين وما زالت وستبقى، بوصلته نحو الحق والعدالة والحرية وتقرير المصير الذي تضمنه المواثيق الدولية، ونبذ العنصرية وسياسات الاستيلاء على أراضي شعب آخر، وتهجيره، والتمادي في شنّ الحروب عليه، وقتل عشرات الآلاف من أبنائه، بمن فيهم الأطفال، والزج بمناضليه في سجون الاحتلال.

التقدمي

الجمعيات السياسية تشيد بـ «طوفان الأقصى»

أشادت الجمعيات البحرينية بالانتصارات البطولية التي حققتها المقاومة الفلسطينية الباسلة على الكيان الصهيوني الغاصب وإذلالـه في معركة «طوفان الأقصى»، والتي اسقطت نظرية الأمـن القومي الصهيوني وهوت بقبته الحديدية، حسبما جاء في بيان الجمعيات.

وتابع البيان: «أصبح اليوم يمثل يومًا تاريخيًا يحمل معه رمزية كبيرة للشعب الفلسطيني والأمة العربية، وعنواناً مجيداً يؤكد صمود الشعب الفلسطيني ومقاومته البطلة وحقه في الحرية والكرامة».

وأكدت الجمعيات السياسية (المنبر التقدمي، المنبر الوطني الإسلامي، التجمع القومي الديمقراطي، التجمع الوطني الديمقراطي الوحدوي، الوسط العربي الإسلامي، الصف الإسلامي، وتجمع الوحدة الوطنية) أن: الانتصار الـذي حققته المقاومة الفلسطينية وتحطيمها لأسطورة الجيش الذي لا يقهر يعكس الإرادة الصلبة للشعب الفلسطيني في الدفاع عن أرضه وحقوقه المشروعة».

واعـتـبرت الجمعيات بـأن: «انتصار المقاومة الفلسطينية اليوم يمثل ردًا قويًا ومشروعًا على الانتهاكات الصهيونية المستمرة وتهويد القدس وبناء المستوطنات والاعتداءات الوحشية المتكررة على الفلسطينيين العزل في جميع الأراضـي الفلسطينية»، وأضاف البيان: «هذه الانتصارات يجب أن تكون رافعة لوحدة الفصائل الفلسطينية وتعزيز جهود المصالحة الوطنية بين الفصائل الفلسطينية والالتفاف على برنامج كفاحي موحد لمقاومة الاحتلال ورفض كافة أشكال التسويات المهينة».

وطالبت الجمعيات السياسية: «الأنظمة العربية ودول العالم بالتصدي للعدوان الصهيوني الواسع والوحشي على المدن والبلدات الفلسطينية للانتقام من هذه العملية ورفضه وإدانته لها والمسارعة بتقديم الدعم للشعب الفلسطيني لتعزيز صموده، كما طالبت: «حكومة البحرين وكافة الحكومات المطبعة مع الكيان الصهيوني بالتراجع عن اتفاقيات التطبيع مع هذا الكيان الغاصب، الذي لم يكن ليرتكب جرائمه الوحشية لولا هذه الاتفاقيات التي تضمن له أمنه واستقراره وإطلاق يده في ارتكاب جرائمه».

وجددت الجمعيات السياسية: دعمها الكامل لحقوق ومطالب الشعب الفلسطينية العادلة، مشيدة: « بمواقف شعب البحرين الأصيلة في الوقوف إلى جانب الحق الفلسطيني».

التقدمي يطالب بطرد السفير الصهيوني ووقف التطبيع

طالب المنبر التقدمي حكومة البحرين بطرد السفير الصهيوني وإغلاق سفارة العدو وإلغاء اتفاقيات التطبيع معه، استجابة للرغبة الشعبية الشاملة من كافة أطراف ومكوّنات المجتمع البحريني دون استثناء، معتبراً بأن: «استمرار العلاقات الدبلوماسية مع المحتل بمثابة خنجر في خاصرة الشعب ومسّ بكرامته وانتمائه القومي والإنساني».

ودعا التقدمي عقب اجتماع لمكتبه السياسي: لمدّ يد كافة أشكال المساندة والعون لقطاع غزة وفلسطين المحتلة. مجدداً موقفه المبدئي والثابت في دعم مقاومة الشعب الفلسطيني من أجل طرد الاحتلال من أراضيه ونيل كافة حقوقه، وفي مقدمتها الحق في إقامة الدولة الفلسطينية الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس. داعياً كافة المناصرين في البحرين لمواصلة التعبير عن موقفهم الوطني والقومي والانخراط في الفعاليات التي تدين العدوان ونصرة الاشقاء في فلسطين المحتلة».

الجمعيات السياسية تندد بالجرائم الصهيونية البشعة في غزة

نددت جمعيات سياسية بالقصف الصهيوني المروع والإجرامي الذي استهدف مستشفى المعمداني في غزة وأسفر عن استشهاد المئات من الأطفال والنساء.

وأكدت جمعيات (المنبر التقدمي، المنبر الوطني الإسلامي، الصف الإسلامي، التجمع القومي الديمقراطي، التجمع الوطني الديمقراطي الوحدوي، تجمع الوحدة الوطنية، التجمع الوطني الدستوري، والوسط العربي الإسلامي) بأن: «هذا العمل الشنيع والجرائم الصهيونية المتواصلة تجسد بشكل ساطع الطبيعة الإجرامية لهذا الكيان اللقيط ، وتشكل جرائم مروعة ضد الإنسانية وانتهاكا صارخاً للقانون الدولي وحقوق الإنسان، وتظهر مدى الاستهتار الواضح بحياة المدنيين والمرافق الطبية في ظل دعم غربي وقح وصمت مخجل من الأنظمة العربية والإسلامية لا يتناسب مع هول الجريمة وروابط العقيدة والانتماء العربي».

وطالبت الجمعيات السياسية: «الحكومة البحرينية بإلغاء كافة اتفاقيات التطبيع مع الكيان الصهيوني وطرد السفير الصهيوني من المنامة واستدعاء السفير البحريني من هذا الكيان الغاصب المحتل، كما اعلان الحداد الرسمي على شهداء غزة وفلسطين وإلغاء الاحتفالات الرسمية».

ودعت الشارع إلى الاستمرار في التعبير عن الوقوف إلى جانب شعب فلسطين وقضيته العادلة والمبادرة إلى تقديم كافة أشكال الدعم والمساندة، وشددت على أهمية: «اتخاذ موقف عربي وإسلامي موحد وعاجل ضد الانتهاكات والجرائم الصهيونية التي يمارسها ليل نهار تحت سمع وبصر العالم».

لافتاً إلى: «دور المجتمع الدولي والمنظمات الحقوقية للعمل على وقف الجرائم ضد الإنسانية التي يرتكبها الكيان الصهيوني وفتح المعابر لإيصال المساعدات الإنسانية والغذائية وحماية المؤسسات الطبية والإنسانية والمدنيين، وتحميل الكيان الصهيوني المسؤولية الكاملة عن جرائمه ومحاسبته على انتهاكاته المستمرة للقانون الدولي.

فضفضة

باقية

عيسى الدرازي

قبل عدة سنوات، عاد ابني من المدرسة وهو يتحدث بحماسة عن فلسطين وعن جيش الاحتلال، وكيف قام الأخير بالاعتداء على الأرض وسلبها من أهلها وطرد سكانها، وإنه واجب علينا مناصرة فلسطين ضد المحتل. قال كل ذلك بلغة طفل لم يتجاوز التاسعة من عمره. عرفت منه لاحقاً بأن زميلته في المدرسة من أصول فلسطينية حدثته عن فلسطين والقدس والاحتلال والإرهاب الصهيوني.

تكمن أهمية القضية الفلسطينية في تأمين نقلها إلى الأجيال جيلاً بعد جيل، وتمريرها من الآباء للأبناء حتى تبقى شعلة القضية متوقدة وشعلة الحقيقة باقية كبقاء أرض فلسطين الحقيقة الثابتة الأبدية.

بعد الاعتداء البربري الغاشم على غزّة، لاحظت بأن حتى الأطفال لديهم علم بما يجري في ذلك الجزء من العالم، ونتيجة للإعلام الموجه والمنافسة غير الشريفة لنقل الصورة الحقيقية عما يجري هناك، بات لزاماً علينا الانفتاح على ابناءنا وتوجيهم نحو الحقيقة التي يحاول الإعلام الغربي تشويهها، ونقل صورة أخرى معاكسة تقلب الحقائق وتُجمّل المحتل وتجعل من القاتل ضحية.

وعلى إثر الحملات والدعوات الشعبية لمقاطعة الشركات المناصرة للكيان الصهيوني، أعجبت كثيراً بمتابعة الأطفال لكل المنتجات التي كانوا يحبّونها ويسألون، هل هذه المنتجات ضمن الشركات الداعمة للكيان أم لا، فإن كان الجواب نعم فانهم يرفضون تناولها ولو كانت محببة لديهم فيما سبق.

بمثل هذه العقلية وبمثل هذا الفعل، يمكن أن نطمئن بأن الهجمة الغربية القائمة على تشويه الحقائق ستجابهه وتواجهه بحوائط صدّ كثيرة مبنيّة على الالتزام بالقضية والوقوف مع الحق وأصحاب الأرض ضد المحتل الغاشم.

لن تموت القضية الفلسطينية طالما بقيت حيّة في عقول وضمائر الأطفال واستمرّ النداء يتردد... فلسطين حرة حرة.

طالبوا بوقف التطبيع

في ندوة «العجز العربي والموقف الدولي المتواطئ»... مشاركون:

أمريكا وحلفاؤها الغربيون شركاء في العدوان على غزّة

قال نائب الأمين العام للشؤون السياسية بالمنبر التقدمي فاضل الحليبي بأن: «منذ بداية عملية طوفان الأقصى، عندما نُفِّذَت عملية عسكرية نوعية من قبل مقاومين من كتائب عزالدين القسام، الجناح العسكري لحركة حماس في غلاف غزة وتمَّ قتل وأسر العديد من جنود الاحتلال الصهيوني بالإضافة إلى مستوطنين صهاينة في تلك العملية، وقوات الكيان الصهيوني لم تتوقف عن القصف وإلقاء القنابل القاتلة على الشعب الفلسطيني، فهي تمارس سياسة الإبادة الجماعية تجاه أهالي غزة الصامدة والمجروحة، هناك يُقتل الأطفال والنساء والشيوخ وعموم الشعب الفلسطيني الشقيق ولم تسلم منه حتى مستشفيات غزة، وشاهدَ العالم مجزرة المستشفى الأهلي المعمداني التي راح ضحيتها المئات من الفلسطينيين الأبرياء».

وشدد الحليبي في ندوة نظمها المنبر التقدمي ندوة بعنوان (طوفان الأقصى والعجز العربي المعلن والموقف الدولي المتواطئ)، على أن: «الاعتداء الغاشم جاء بتواطؤ إمبريالي أمريكي والحلفاء الغربيين وبصمت النظم العربية، فالدور الأمريكي واضحٌ، كشريك في العدوان الصهيوني على غزةَ، والشعب الفلسطيني يعرف ذلك وليس بجديد عليه، ولكن الصمَت والمواقف المترددة للنظام العربي الرسمي، تجاه ما يجري في غزةَ من مجازرَ وجرائمَ فاقت في وحشيتها ما قام به الجنود النازيون في الحرب العالمية الثانية في أعوام 1939-1945».

وأضاف: «هذا الصمت والتواطؤ من قبل الأنظمة العربية ليس بجديد. لقد بدأ منذ قرار التقسيم في عام 1947، وبعد قيام الكيان الصهيوني في عام 1948 واستمر خمسةَ وسبعينَ عاماً، دون أن يقوم النظام العربي الرسمي بدوره المطلوب في لعب دور رئيسيٍّ في دعم القضية الفلسطينية وتعزيز صمود الثورة الفلسطينية».

خطر التطبيع

من جانبه، قال منسق المبادرة الوطنية لمناهضة التطبيع مع الكيان الصهيوني عبدالرسول عاشور بأنه: «الواضح جداً أن الكيان الصهيوني ليس دولة طبيعية وهو كيان مصطنع من قبل الاستعمار الغربي أقيم على اراضي الغير، لكي يؤدي دوره الوظيفي بالحفاظ على مصالح المستعمرين، فهو من مخلفاتهم»، وتابع: «لا يمكن التطبيع مع كيان بتلك المواصفات؛ لما يمثله من خطر شديد علينا وعلى اوطاننا وشعوبنا وعلى حاضرنا ومستقبلنا، بل أن التطبيع وللأسباب السالفة يعتبر خيانة وجريمة».

وأضاف: «من غير الخفي بأن الأمم المتحدة منحازة لصالح الكيان الغاصب، وهي التي اسهمت في اعلان قيامه بشكل ظالم على حساب الشعب الفلسطيني، وبنت اساسه على جماجم الأبرياء».

وأكد على أن: «الدعوة للتطبيع ولما يسمى بالسلام هي في حقيقتها وجوهرها دعوة للاستسلام، ولإعطاء الكيان الصهيوني الوقت والمناخ المناسب والدعم للقضاء على القضية الفلسطينية وتصفيتها»، وتابع: «لمن يطالبون الشعوب بالتعامل بواقعية، والرضوخ والاستسلام للكيان الصهيوني المحتل، نقول لهم ونطالبهم بان يتعاملوا مع الشعوب بواقعية، وان يحترموا ارادة الشعوب فان زمن الاستعباد قد ولى».

دعم أمريكي

إلى ذلك، كشف ممثل الجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني أحمد عبدالأمير بأن: «الدعم العسكري فقط للكيان الصهيوني يبلغ أكثر من 3 مليارات دولار سنوياً، حسب موقع السفارة الأمريكية في الكيان الصهيوني».

وأضاف: «الدعم العسكري الأمريكي المباشر لآلة الحرب الصهيونية في عام 2021 يقدّم مؤشر واضح على المساندة اللامحدودة للكيان الصهيوني فقد استلم الكيان دعماً بقيمة 3،3 مليار دولار ليأتي في المركز الأول عالمياً وتأتي مباشرة من بعده مصر التي طبعت علاقاتها مع الكيان الصهيوني ووعدت بدعم لا محدود مستلمة 1،1 مليار دولار والأردن في المركز الثالث بمبلغ 428 مليون دولار».

وواصل: «الولايات المتحدة تعاني اليوم من ضغوطات اقتصادية ومالية داخلية من تضخم وارتفاع للدين العام الذي وصل الى مستويات قياسية وارتفاع العجز التجاري مع مختلف الدول ومن ضمنها الكيان الصهيوني وهناك ضغوط تاريخية غير مسبوقة على الدولار الأمريكي وتسيّده التجارة الدولية اضافة الى حملات المقاطعة والدور السلبي للشركات الأمريكية كأدوات لتنفيذ المشاريع الامبريالية الأمريكية».

وأوضح بأن: تلك العوامل «قادت لتآكل للدور الاقتصادي الامريكي عالمياً وانكفاءه على نفسه داخلياً وبالتالي اعادة ترتيب اولوياته ومن ضمنها مراجعة الدعم الاقتصادي المباشر للحلفاء ومن ضمنهم الكيان الصهيوني»، وتابع: «هناك ضغط غير مسبوق من داخل المجتمعات الغربية التي تشبعت من السرديات التي يتم تسويقها في الحرب الإعلامية وبدأت تشكل ضغطاً على صناع القرار داخل المجتمع الأمريكي».

النواب يستنكر القصف العدواني على غزّة

أعرب مجلس النواب عن إدانته البالغة واستنكاره الشديد للقصف الإسرائيلي العدواني السافر لمستشفى الأهلي المعمداني في قطاع غزة، والذي أسفر عن سقوط مئات الشهداء والجرحى والمصابين من المواطنين الفلسطينيين الأبرياء في غزة.

وشدد المجلس في بيان له على أن هذا العمل العدواني ضد منشآت وأهداف مدنية يعد انتهاكًا خطيرًا لأحكام القانون الدولي والإنساني، ولأبسط قيم الإنسانية، وهو نتيجة حتمية مؤسفة للازدواجية الغربية والصمت الدولي حيال استمرار التصعيد الإسرائيلي، والذي ينذر بمزيد من الانتهاكات والخسائر.

ودعا المجلس المجتمع الدولي إلى التحرك العاجل للوقف الفوري لسياسات العقاب الجماعي ضد أهالي قطاع غزة، وتوفير الحماية اللازمة للمدنيين، وفتح ممرات إنسانية عاجلة لإدخال المساعدات الطبية والإغاثية والغذاء والماء والكهرباء والوقود إلى قطاع غزة، وأهمية احترام القانون الإنساني الدولي والمعاهدات الدولية، التي تحمي المدنيين وحقوق الإنسان، وضرورة ألا يكونوا هدفًا للصراع، ومنع انجرار المنطقة لمستويات خطيرة من العنف وعدم الاستقرار.

مؤكدًا المجلس الموقف الثابت والراسخ لمملكة البحرين في دعم جهود السلام العادل والشامل، وحق الشعب الفلسطيني الشقيق في إقامة دولته المستقلة، وعاصمتها القدس الشرقية، وفقًا لحل الدولتين ومبادرة السلام العربية، وقرارات الشرعية الدولية.

«الأيام» – 19 أكتوبر 2023

أنشطة تضامنية مع غزّة وفلسطين

منذ عملية «طوفان الأقصى» البطولية، والعدوان الصهيوني على قطاع غزّة، شهدت البحرين، وما زالت، سلسلة من الأنشطة والفعاليات التضامنية مع الشعب الفلسطيني البطل، نظمتها منظمات المجتمع المدني والقوى السياسية والمجالس الأهلية والمؤسسات الثقافية والفنية.

فقد دأبت الجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني على تنظيم لقاء تضامني مع غزّة وفلسطين بعد ظهر كل جمعة، أقيم الأول منها أمام مقر السفارة الفلسطينية في المنامة، وتلتها اعتصامات أمام مقر الجمعية في العدلية، كما دعت جمعية مناصرة فلسطين إلى اعتصامات مشابهة في المحرق، ورفعت في جميع هذه الأنشطة أعلام فلسطين والبحرين وصور ضحايا العدوان الصهيوني ولاسيما أطفال فلسطين. كما كرّست الأندية الأهلية كل أنشطتها، خلال الفترة الماضية، إلى الشأن الفلسطيني، معبرة عن تضامنها مع شعب فلسطين، خاصة في قطاع غزة، حيث يتعرض أهل القطاع إلى إبادة دموية من قبل قوات الكيان الصهيوني وبدعم الإمبريالية الأمريكية وحلفائها الغربيين وبصمت النظام الرسمي العربي، وتحدث في هذه الفعاليات ممثلو الجمعيات السياسية ومنظمات المجتمع المدني، كما شارك السفير الفلسطيني في العديد من هذه الأنشطة بإلقاء كلمات تعكس الموقف الفلسطيني مما يجري.

وأكّدت هذه الفعاليات كذلك على إدانة الموقف الإمبريالي – الغربي الشريك في العدوان من خلال دعمه للكيان الصهيوني وتبرير هجومه على المدنيين الفلسطينني الأبرياء، وكذلك صمت النظام الرسمي العربي، وطالب المشاركون فيها بوقف العدوان والقتل فوراً وتقديم المساعدة والعون للفلسطينيين في قطاع غزة المنكوبة.

المؤسسات الفنية والثقافية

بدورها أقامت الجمعيات والمؤسسات الفنية والثقافية في البحرين فعالية تضامنية مع غزة وكامل فلسطين في مركز عبدالرحمن كانو الثقافي في السابع والعشرين من أكتوبر، قدّمت فيها فعاليات غنائية وموسيقية وشعرية، مكرّسة للقضية الفلسطينية، بمشاركة فنانين وأدباء بحرينيين، وجاء في البيان الذي أصدرته هذه المؤسسات، وقالت المؤسسات المشاركة في تلك الفعالية في البيان الذي تلي فيها: «نحن إزاء ما نراه من انهيار للقيم الإنسانية في فلسطين المحتلة وجدنا أنفسنا أمام ما يحدث أبعد مما قد نتصوره، فالاستهانة البشرية أمام الآلة العسكرية أفقدت الفرد البوصلة الحقيقية للمعنى الحقيقي لأن تكون إنساناً. كما أن الإجماع على حصار وترهيب الشعب الفلسطيني بكل الوسائل وتجييش الشعوب من أجل شحذ خطابات الكراهية أمر غير مستوعب ولا يتناسب مع أبسط المبادئ الإنسانية».

وجاء في البيان: "إننا في البحرين وبوصفنا مؤسسات غير ربحية عاملة في حقل الثقافة والفنون لنستذكر بعظيم الامتنان والاعتزاز مواقف شعبنا الفلسطيني وهو يواجه العالم وحيداً فريداً في صموده الذي ينقله جيلاً بعد جيل وندين بأقسى العبارات تخاذل العالم وإمعانه في إعطاء الضوء الأخضر للتنكيل والتعذيب والتشريد. وتأكيده خطاب الكراهية الذي روجت له وسائل الإعلام العالمية والغربية تحديداً».

كما أكّدت الجمعيات على «الموقف الثابت والإنساني والحضاري مع القضية الفلسطينية منذ 75 عاماً على الاحتلال فإننا نجدد ثقتنا في مقاومة ومواجهة المشروع الصهيوني الكبير بشتى الوسائل المتاحة. كما نعرب عن خيبة أملنا في الدول التي أطلقت يد الوحش بما يملك من ترسانة لا إنسانية وراحت تدافع عن وحشيته والتي كان من ضمنها دول عانت من ويلات الحروب والدمار».

منظمة المرأة العربية تطالب بتطبيق الاتفاقيات الدولية في غزة

أصدرت منظمة المرأة العربية، بياناً صحفياً، إلى جانب لجنة الأمم المتحدة المعنية بالقضاء على التمييز ضد المرأة (سيداو) بجنيف، أعربت فيه عن القلق الشديد بسبب تجدد العنف الأعمى بعد الاشتباك الذي حدث بين الجيش الإسرائيلي وحماس في قطاع غزة.

وذكرت في البيان: «نناشدكم للعمل بسرعة لضمان تطبيق الاتفاقيات الدولية والقانون الدولي في المواد المتعلقة بهكذا نزاعات مسلحة حيث يكون المدنيون من كل الجهات، خاصة النساء والأطفال أهداف لكل أنواع النار والعنف، وتوجد حاجة ماسة للجهود الدولية في هذا الوقت أكثر من أي وقت آخر لإنهاء النزاعات المسلحة والحروب الدائرة، نشهد تصاعدا مفاجئا للعنف الأعمى ضد المدنيين بمن فيهم النساء والأطفال، ما سبب ويسبب عدداً هائلاً من الضحايا، وأمام هذا الوضع المؤلم نشعر بالحزن العميق أن يتم حشد بعض وسائل الإعلام للتحريض وشحن النفوس بقصد زيادة الكراهية والحقد والتحريض على الإقصاء وقتل العدد الأكبر من الفلسطينيين».

بسبب تضامن الأعضاء مع فلسطين

«ستاربكس» تقاضي نقابة عمالها

رفعت شركة «ستاربكس» العالمية، دعوى قضائية ضد نقابتها «ستاربكس ورك يونايتد» (اتحاد عمال ستاربكس)، بعد تعبيرها في منشور على وسائل التواصل الاجتماعي عن دعمها للشعب الفلسطيني.

وقالت نائبة الرئيس التنفيذي للشركة سارة كيلي في مذكرة داخلية للشركة: «استخدام النقابة اسم ستاربكس يربك العملاء، وقد نقل بعض العملاء فعلاً غضبهم إلى موظفي متاجرنا».

وكان الاتحاد نشر صورة جرافة تهدم السياج المحيط بغزة مرفقة بعبارة «تضامن مع فلسطين». وأدانت «ستاربكس» المنشور، مهددة أعضاء النقابة باتخاذ إجراء قانوني في حقهم.

متى يسقط حق العامل في التعويض عن إنهاء عقد العمل؟

قالت المحامية زهور السيد إن حق العامل في طلب التعويض عن إنهاء عقد العمل غير المشروع يسقط بمرور 30 يوما من تاريخ إنهاء العقد، دون إقامة العامل دعواه بهذا الطلب، ومع ذلك ينقطع سريان هذا الميعاد بعرض النزاع، بموافقة الطرفين، على جهاز فض منازعات العمل الفردية في غضون 30 يوما من تاريخ إنهاء العقد، وترفع الدعوى في هذه الحالة في غضون 3 أشهر من تاريخ انتهاء الإجراءات أمام هذا الجهاز، عملاً بحكم المادة (135) من قانون العمل، ما يتعين معه على كل عامل يخضع لأحكام قانون العمل في القطاع الأهلي أن يكون حريصا في إقامة دعواه بطلب التعويض عن الإنهاء غير المشروع في غضون 30 يوما من تاريخ إنهاء العقد أو 3 شهور من تاريخ إنهاء الإجراءات أمام الجهاز، إذا تم عرض النزاع أمامه، مع ملاحظة أن الدفع المتعلق بسقوط حق العامل في التعويض عن الإنهاء غير متعلق بالنظام العام، ويجب على صاحب العمل التمسك به في مرحلة إدارة الدعوى العمالية، ولا يجوز إبداءه بعد انتهاء إدارة الدعوى أمام المحكمة الكبرى العمالية لأول مرة، عملاً بنص المادة (132) من قانون العمل في القطاع الأهلي رقم (36) لسنة 2012، والمتعلقة بالنظام العام، وتتصدى له المحكمة من تلقاء نفسها، والتي أوجبت أنه لا يجوز لأي من طرفي الدعوى العمالية أن يتقدم بأي طلبات جديدة أو إبداء أي دفع أو دفاع لم يسبق إبداؤه أمام قاضي إدارة الدعوى إلا إذا كان متعلقا بالنظام العام.

«البلاد» – 3 أكتوبر 2023

العمل العربية تتضامن مع عمال وشعب فلسطين

في ختام أعمال الدورة التاسعة والتسعين لمجلس إدارة منظمة العمل العربية، أصدرت المنظمة بياناً شجبت فيه الانتهاكات الجسيمة والمستمرة تجاه عمال غزه وباقي الأراضي الفلسطينية المحتلة التي ينتهجها كيان الاحتلال الإسرائيلي في قصفها قطاع غزة مستهدفة الأحياء السكنية والمدارس والجامعات والصحفيين وسيارات الإسعاف والتي تسببت في دمار هائل واستشهاد أكثر من ألف مواطن فلسطيني وإصابة الآلاف من المدنيين من أطفال ونساء وشيوخ، لتغير جغرافية المنطقة وملامحها، وتدفع بمئات الآلاف إلى النزوح من أرضهم بعد قطع كل مصادر الحياة من ماء وكهرباء وغذاء ووقود في انتهاك صارخ لكافة الأعراف والقوانين الدولية.

وأكد مجلس إدارة منظمة العمل العربية دعمه الكامل لعمال وشعب فلسطين الذين يخوضون منذ أكثر من 75 عاماً معركة وجود وهوية لنيل الحرية والكرامة واستردادِ حقوقهم الإنسانية المشروعة، وناشد أحرار العالمَ والمجتمع الدولي لحشد التضامن وللمبادرة لتقديم الدعم الإنساني لنصرة الأبرياء من أبناء الشعب الفلسطيني وللضغط على كيان الاحتلال الإسرائيلي لإنشاء ممرات إنسانية آمنة لتسهيل دخول المساعدات وعودة عمال غزه لمنازلهم، كما يطالب مجلس الأمن وكافة المؤسسات الدولية باتخاذ قرارات حاسمة تضع حداً للوضع المتردي في قطاع غزة ومنع اتساع رقعة المواجهات لتشمل دول المنطقة، والدفع بعملية السلام لإيجاد حل عادل وشامل يفضي لإقامة دولة فلسطين المستقلة وعاصمتها القدس.

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب
الفنان على
«انستجرام»

اتحاد نقابات العمال العرب:
ضرورة وقف العدوان على غزة واتخاذ إجراءات لحماية الفلسطينيين

أكّد المجلس المركزي للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ضرورة تحرك المجتمع الدولي لوقف العدوان وجرائم الاحتلال الإسرائيلي بحق الشعب الفلسطيني الأعزل واتخاذ إجراءات فورية حيال ذلك.

وجدد المجلس في بيان أصدره رفضه للممارسات العنصرية لسلطات الكيان الصهيوني وإدانة العدوان الإجرامي على غزة وباقي الأراضي الفلسطينية المحتلة، والذي أدى إلى ارتقاء الآلاف من الأطفال والنساء والشيوخ في مخالفة للقانون الدولي والإنساني.

وطالب المجلس بضرورة وقف العدوان على غزة وإنقاذ شعب محاصر يعاني القتل اليومي، مؤكداً وقوف العمال العرب مع عمال وشعب فلسطين بوجه هذا العدوان السافر.

انتصـــــارات
قضائيــة لثــلاث نقــابــات

خلال شهر أكتوبر الماضي حصلت ثلاث نقابات عمالية على احكام قضائية ثبتت فيها حقوق عمالية اصيلة وانتصر فيها القضاء للجانب العمالي.

حيث حصلت نقابة عمال جارمكو «الدرفلة» على حكم من محكمة التمييز باحتساب اجر العمل الإضافي على مجموع الأجر بما يشمل الراتب الأساسي والعلاوات.

وحصلت نقابة طياري طيران الخليج على حكم بصرف الزيادة السنوية للطيارين والطيارين المساعدين بأثر رجعي منذ تاريخ وقفها بالأضافة الى صرف علاوة تعليم الأبناء لأربعة أبناء بأثر رجعي منذ تاريخ وقفها.

وحصلت «نقابة فولاذ» على حكم ضد الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين لتثبيت مجلس الإدارة الشرعي المنتخب وبطلان إعلان انتخابات جديدة وكل ما نتج عنها.

وقالت نقابة الطيارين في بيان لها: "انعقدت في 31 أكتوبر 2023 جلسة النطق بحكم المنازعة الجماعية المرفوعة من نقابة طيارين طيران الخليج ضد إدارة شركة طيران الخليج، واستمعت الى نطق الحكم والذي تضمن؛ حكم المحكمة بصرف الزيادة السنوية للطيارين والطيارين المساعدين بأثر رجعي كاملا منذ تاريخ ايقافها وحكمت بصرف علاوة تعليم الأبناء لأربعة أبناء بأثر رجعي منذ تاريخ وقفها.

وأصدرت نقابة عمال جارمكو بياناً قالت فيه: نظرت محكمة التمييز في الطعون المقدّمة من اطراف النزاع العمالي، وأصدرت حكمها بعدم قبول كافة الطعون وتأييد الحكم الصادر من هيئة التحكيم في المنازعات العمالية الجماعية أي القضية العمالية بما يخص البنود الخمسة (الزيادة السنوية، نظام الادخار، ساعات العمل الإضافي، الحقيبة المدرسية والسلة الرمضانية)، وعليه سيتم السير في الدعاوى العمالية الفردية (الموقوفة).

وفي الحكم الصادر من المحمة الكبرى الإدارية، حكمت المحكمة ببطلان الدعوى الصادرة من المدعى عليه الثاني (الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين) بخصوص انتخاب مجلس ادارة النقابة العمالية لمجموعة فولاذ مع ما يترتب على ذلك من اثار، وألزمت المدعى عليه الثاني بالمصروفات، ومبلغ وقدره 200 دينارًا مقابل أتعاب المحاماة.

نظمته تنسيقية الجمعيات السياسية في التقدمي

مهـــرجـــان خطـــابـــي تضـــامنـــي مـــع غـــــزّة

تحية لطوفان الأقصى وإدانة العدوان الصهيوني على غزة وقتل المدنيين ومطالبة بوقف التطبيع مع العدو وطرد ممثليه

دينا الأمير

أحمد علي جاسم

أقامت تنسيقية الجمعيات السياسية مهرجاناً خطابياً تضامنياً مع الشعب الفلسطيني في مقر المنبر التقدمي، وبمشاركة عدد من الجمعيات السياسية ومؤسسات المجتمع المدني.

واتفق المشاركون على التنديد بالاحتلال والتضامن مع الشعب الفلسطيني وصولاً لتحقيق الاستقلال الكامل للأراضي المحتلة، كما اكّد المشاركين على وقف التطبيع وانهاء كافة الوجود الصهيوني في البلد.

التقدمي: بيان الخارجية لا يمثل الشعب

من جانبها، قالت عضو المكتب السياسي دينا الأمير بأن: «الكيان المحتل ينتهج سلوك يخيّر فيه الشعب الفلسطيني بين التهجير أو الإبادة الشاملة، ساعيا بهذا إلى تصفية القضية الفلسطينية، ومحوها من جغرافيا المكان»، وتابعت: «يأتي هذا السلوك مصحوباً بدور عربي باهت ومخجل، بل أكثر من هذا حيث خرجت بعض الدول العربية بتصريحات وبيانات تهادن المحتل وتدين الضحية كما هو البيان الذي صدر من وزارة الخارجية البحرينية».

ونوهت إلى أن: «الجمعيات السياسية والأهلية والكيانات المدنية، بمختلف اطيافها وألوانها ترفض البيان الذي صدر عن لسان وزارة الخارجية في مملكة البحرين»، وشددت على أنه: «آن الأوان لتعيد الدولة النظر في سياسة التطبيع وتتخذ خطوة تصحيحية وشجاعة وتعود الى أحضان أبناء شعبها تستشعر نبضهم».

وقالت بأنه: «في هذه اللحظة التاريخية التي نمرّ بها، ومنذ تاريخ 7 اكتوبر في عملية طوفان الأقصى، نستشعر ذائقة النصر والبطولة، في هذه اللحظة تحديداً ولأجلها يقدّم الفلسطينيون من أبناء غزة وبقية الأراضي المحتلة أرواحهم ثمناً باهظا في سبيل التحرير من نير الاحتلال، حيث تقاوم غزة بكل هذه البسالة واحداً من أقوى الجيوش العسكرية في العالم، وعلى هذا الطريق القاسي والدامي، أثبت أبناء الشعب الفلسطيني وفي القلب منهم عناصر المقاومة المسلحة أنهم قادرون، بل مستمرون ما دعت الحاجة الى ان يظلوا قابضين على فوهة البنادق».

عمال البحرين: حرمان لأبسط حقوق العيش

إلى ذلك، قال الأمين العام المساعد للحماية الاجتماعية بالاتحاد العام لنقابات عمال البحرين أحمد علي جاسم بأن: «الاتحاد يقف صفاً واحداً مع جميع مؤسسات المجتمع المدني وجميع فئات شعب البحرين، مع المحاصرين في غزة، جواً وبحراً وبراً وهم يعانون من استفراده بآلة الحرب الصهيونية ليل نهار»، وأكد على أن: «فلسطين هي بوصلة الحق وأن قضيتها المركزية هي قضية العرب والمسلمين وكل شعوب العالم الذين يؤمنون بأن الظلم والاغتصاب للحقوق هو شر محض،

عبدالصمد النشابة

حسن أبو زيد

راشد الجودر

لا يمكن القبول به في مكان ما أو زمان ما، ورفضه في مكان وزمان آخر».

وأضاف: «اثر عملية طوفان الأقصى تتكشف الحقائق لجميع العالم بأن ما يقوم به هذا الكيان الغاصب من انتهاكات وحرمان لأبسط الحقوق في العيش، حيث قام بقطع الماء والكهرباء والإمدادات الغذائية والدوائية عن المحاصرين لأكثر من 16 عاماً في قطاع غزة، ومع كل هذه القسوة التي لم تفرق بين مريض أو شيخ أو طفل أو امرأة، لم تفتأ آلة الحرب تقصفهم ليل نهار، وتسوي بيوتهم بمن فيها بالأرض، وبمرأى ومسمع من العالم، وأمام أعين الكاميرات الفضائية، والأقمار الاصطناعية، لتكشف حقيقة الاستكبار العالمي، وتشدقه بمعزوفة حقوق الإنسان التي لم نسمع أحد يتكلم عنها إذا كان الأمر يخص أطفال ونساء وأنات المدفونين تحت الأنقاض في غزة».

القومي: عاد للثورة الفلسطينية ألقها

من جهته، قال الأمين العام لجمعية التجمع القومي عبد الصمد النشابة بأن: «المقاومة أعادت للثورة الفلسطينية ألقها»، وتابع: «الهبّة المباركة التي شهدناها في البحرين وكافة الأقطار العربية والعالمية تؤكد أن الشعب العربي لا يزال على وعده باعتبار أن فلسطين هي قضيته المركزية ولن يتخلى عنها ويرفض كافة أشكال التطبيع المذل والمهين».

وطالب النشابة الحكومة بالتراجع عن اتفاقيات التطبيع مع العدو الصهيوني وإلغاء كافة أشكال التطبيع معه.

كما أدان البيان الذي أصدره السفير الأمريكي في البحرين وحملة إدانة حكومية بحرينية أمريكية مشتركة للمقاومة الفلسطينية وطالب مجلس النواب

عبدالنبي سلمان

بإخضاع المسؤولين عن إصدار هذا البيان للمساءلة.

وأضاف: «العدو الصهيوني لم يجد منفذاً للتغطية على خسائره وإذلاله وهزيمته النكراء سواء القيام بحملة من القصف الهمجي والإرهابي على مدن وقرى غزة وقتل المدنيين فيها وإخضاعها للحصار ومنع الغذاء والوقود والكهرباء، حيث سقط المئات من الأبرياء ودمر البنية التحتية، وهو ما يفرض على الأنظمة العربية والعالم التحرك سريعاً لوقف استهداف المدنيين وفك الحصار والضغط على الكيان الصهيوني لوقف هذه الحملات النكراء».

الوحدوي: لا مكان للتردد

كما قال نائب امين عام التجمع الوطني الديمقراطي «الوحدوي» حسين بوزيد في كلمته: «إنني هنا لأخاطب القلوب والضمائر، لأخاطب العقول والمشاعر، لأقولها بصوت عالي، بصوت طلق، أنا وأنتم ونحن وجميعنا مسؤولون». وتابع: «اليوم، بل من يوم السابع من أكتوبر، لا مجال للمكوث في المناطق الرمادية، ولا مكان للتردد والتقوقع، فالحق بات بيناً والباطلُ أصبح أكثر بياناً، فلا عذر ولا أعذار». وواصل: «أرواح الأبرياء تزهق، أطفال ونساء وشيوخ ورضع، والعالم جميعه ونحن إياهم ننظر».

الوسط العربي: الطوفان يسقط الأقنعة

على الصعيد ذاته، قال رئيس جمعية الوسط العربي الإسلامي راشد الجودر بأنه: «حينما يأتي الطوفان تسقط الأقنعة عن الوجوه القبيحة، تلك التي تتباكى على أطفال فلسطين، بينما هي تشيد للعلاقات مع بني صهيون صروحاً. وتصدر بيانات الشجب، بينما هي توقع الاتفاقيات للتعاون مع الكيان الصهيوني. وتتوسل المجتمع الدولي لتحمل مسؤولياته، وهي التي تمنع شعوبها من جمع التبرعات وتقديم الدع والمعونات للشعب الفلسطيني».

وأضاف: «نحبكم يا أهل فلسطين. نحب الأرض التي تطأها أقدامكم، ونحب السماء التي تظللكم، والهواء الذي تستنشقونه. نحب القدس وغزة وكل المدن والقرى الفلسطينية الصامدة. نحبكم ومنكم نتعلم كيف يكون للمحبة معنى المقاومة والنضال. نحبكم وتذوب قلوبنا ألماً لما تتعرضون له من عدوان همجي، وتشتعل غضباً لمواقف الخزي والذل والمهانة والتخاذل

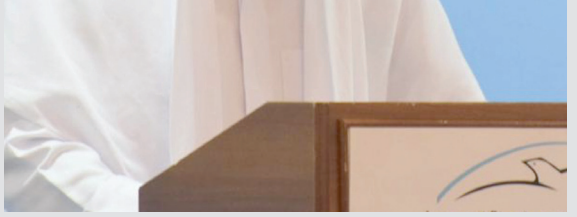

خالد العاصمي

حسن بديوي

ريم المعراج

التي يقفها حكامنا العرب، بينما أنتم بما تمتلكون من الإرادة، وسلاح متواضع، تدافعون عن شرف هذه الأمة وكرامتها. نحبكم ومنكم نستمد الأمل. ومنكم نتعلم معنى الصمود. وبكم تنتعش أحلامنا في غد تسوده مبادئ الحرية والعدالة والمحبة والسلام».

تجمع الوحدة: طرد المحتل

من جهته، قال عضو اللجنة التنفيذي بتجمع الوحدة الوطنية خالد العاصمي بأن: «المعركة التي مثلت صدمة للكيان الغاصب المحتل لن يفوق منها للسنين عديدة وهي تهز أركان هذا الكيان الوهن المجرم الغاصب، المعركة التي مثلت أكبر إهانة تاريخية عظمى لما يسمى بجيش الكيان الصهيوني، الذي ارتكبت قيادته وارتجفت تحت أقدام أبطال المقاومة».

وطالب العاصمي جميع منظمات المجتمع الدولي والمؤسسات الحقوقية والإنسانية في جميع دول العالم لتحمل مسؤوليتها وحماية الشعب الفلسطيني من الإبادة وإدانة ووقف المذابح والمجازر والتدمير والخراب، والتجويع والتشريد من البيوت التي يتعرض لها الأبرياء العزل حالياً في قطاع غزة الأبي بسبب القصف العشوائي العنيف المستمر بشتى أنواع أسلحة الدمار من قوات الكيان الصهيوني المجرم.

كما شدد على: «إلغاء كل الاتفاقيات مع العدو الصهيوني وطرد ممثليه من العواصم والدول العربية والإسلامية».

المحامين: حرب همجية

رئيس جمعية المحامين البحرينية حسن بديوي أكدّ بأن: «المشاركة في كل ما من شأنه نصرة إخواننا في فلسطين في معركة التحرر من دنس الصهيونية كانت ولازالت من أولويات شعب البحرين الوفي لقضيته الكبرى وقضية الاحتلال البغيض لأقدس مقدساتنا ولن

خالد الكلباني

يهدأ لأبناء البحرين والعرب جميعاً وشعوب العالم المتحرر بالاً إلا بتحرير أرض فلسطين ورؤية شعبها ينعم بالأمن والأمان في ظل دولته الحرة المستقلة.

وأضاف: «إن ما يتعرض له شعب فلسطين هذه الأيام من حرب همجية تشنها كلاب الاحتلال المسعورة في ظل تآمر المجتمع الدولي وشكوته لهو أمر لا يتوافق مع أبسط قواعد ومبادئ حقوق الإنسان ناهيك عن المواثيق والاتفاقيات الدولية».

وواصل: «نؤكد على شجبنا وتنديدنا واستنكارنا للاعتداء الصهيوني الجبان على عزة العزة والصمود وعلى مقر نقابة المحامين الفلسطينيين في غزة الصامدة وتسوية مقرها المدني والحقوقي بالأرض في مخالفة صريحة لاتفاقية جنيف لعام 1949 بشأن حماية الأشخاص المدنيين وقت الحرب، وما نصت عليه من عدم جواز تدمير المباني الخاصة بالهيئات العامة والمنظمات الاجتماعية والتعاونية».

مقاومة التطبيع: الغرب المنافق

وقالت عضو مجلس ادارة الجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني ريم المعراج بأن: « نطالب اليوم، كما طالبنا دوماً، بوقف التطبيع المخزي وإغلاق سفارات العدو ومؤسساته، وإنهاء كل أشكال التعاون معه، ووقف العدوان الغاشم على غزة، وتحمل الدول العربية مسؤولياتها القومية والإنسانية، وإمداد الشعب الفلسطيني بكل احتياجاته، والسماح للمبادرات الشعبية بتقديم الدعم للأشقاء».

وأضافت: « نستلهم من صمود الفلسطينيين الذين يواصلون بشجاعة منقطعة النظير مقاومة الاحتلال والقمع بسلاح صنعوه بأيديهم، الشباب الذين كسروا الحصار الوحشي ووضعوا أرجلهم لأول مرة على أرض سمعوا قصصها وحكاياتها من جداتهم، فيها نكرم أولئك الذين فقدوا حياتهم لكي يعود الفلسطيني إلى وطنه، ويعيش حُراً بين كرومه وبرتقاله وأشجار زيتونه، بين بحره ونهره».

وواصلت: « الغرب المنافق تمرس في تطبيق معايير حقوق الإنسان بشكل انتقائي، فما هو مقبول لأوكرانيا الأوروبية ليس مقبولاً لفلسطين العربية، حتى إن وضع الكوفية، ورفع العلم الفلسطيني، وهتاف «الحرية لفلسطين، أصبحت جرائم تستدعي الاعتقال في بعض العواصم الأوروبية».

وقالت بأن:» القضية الفلسطينية رافعة مهمة للشعور القومي والأمل في المستقبل، ولتذكرنا بأن خيار العيش في عزة وكرامة مازال ممكناً ومجدياً لمن يملك الإرادة والقدرة على الصبر والتضحية، ورغم أن غزة وبلدات

السفير طه عبدالقادر

هنادي الجودر

ناصر زين

ومدن فلسطين في حاجة ماسة لدعمنا، فقد أثبتت الأيام أننا أحوج إليها اليوم مما هي لنا، ون حيث قدرتها على استنهاضنا، فإن تعلمنا درس غزة وأخواتها فسنكون لهم العون والسند الذي يستحقونه».

كتلة تقدّم: تخاذل مذل

من جهته أوضح النائب عن كتلة تقدم في مجلس النواب عبدالنبي سلمان بأنه: « في ظل العدوان الهمجي الفاشي على شعبنا المقام في قطاع غزة وكامل الأراضي الفلسطينية المستباحة، حيث تتعرض فيه بلدات ومدن قطاع غزة المقاوم وبقية مدن الضفة الغربية لعدوان ممنهج غير مسبوق، وبدعم ومساندة من القوى الإمبريالية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وبقية الدول الغربية والتي وفرت كامل عتادها وعددها لتمزيق أشلاء الأطفال والشيوخ والمسنين والنساء والشباب في فلسطين الحبيبة، وبدون رحمة، يقابل كل تلك الاعتداءات السافرة وغير المسبوقة صمت فاضح للمجتمع الدولي بكل منظماته، إلا من بعض نداءات خجولة لا ترقي لأن تدين العدوان والهمجية الصهيونية ولو بكلمة، مستغلة حالة الصمت والتخاذل الرسمي العربي، والذي لا يتسق أبداً مع ما تختزنه جماهير أمتنا العربية من غضب ورفض كاملين لذلك التخاذل والانبطاح الرسمي المذل، والمتمثل في حالة التدافع من قبل العديد من الأنظمة العربية نحو التطبيع مع الكيان الصهيوني المجرم».

وواصل:» إننا في «كتلة تقدّم» البرلمانية، لا يسعنا إلا أن نجدد مواقفنا الرافضة والتي هي امتداد لمواقفنا المعروفة عنا لدى شعب البحرين داخل وخارج مجلس النواب، في الوقوف بقوة ومسؤولية إلى جانب قضية شعبنا الفلسطيني التي هي قضية العرب الأولى،

وليد باقر

مطالبين حكوماتنا الموقرة وبقية حكومات دولنا العربية المندفعة نحو التطبيع مع العدو الصهيوني بوقف كافة أشكال التطبيع مع دولة الكيان الغاصب وطرد ممثلي الكيان من أراضينا إلى غير رجعة، امتثالاً لما يفرضه علينا دستورنا ومبادئنا وقيمنا العربية والإسلامية من مسؤوليات، وما تفرضه قرارات الجامعة العربية والأمم المتحدة من ضرورة حماية الشعب الفلسطيني الذي يتعرض لحرب إبادة حقيقية، واحترام وتطبيق كافة القرارات والمواقف والمبادرات العربية.

الدستوري: تحية لطوفان الأقصى

من جانبه أكدّ ممثل جمعية التجمع الوطني الدستوري خالد الكلباني عن الوقوف إلى جانب أهالي غزة والشعب الفلسطيني في التصدي للمحتل الصهيوني، محيياً عملية طوفان الأقصى التي ألحقت ضربة موجعة بالكيان الصهيوني داعياً لنصرة فلسطين وشعبها في نضاله من أجل استعادة حقوقه وصون مقدساته، وطرد المحتل من على أرضه، ورافضاً التواطىء الدولي مع الاحتلال.

سفير فلسطين: إرادة صلبة

من جانبه، قال سفير دولة فلسطين لدى البحرين طه عبدالقادر بأن: «شعبنا الفلسطيني في غزة يذبح ويقتل في وضح النهار وعتمة الليل من قبل العصابات الصهيونية دون أي تحرك دولي بل على العكس من ذلك فنراهم يدعمون الصهيونية بالمال والسلاح، فهم يحاولون شطب القضية الفلسطينية وتهجير شعبنا الفلسطيني من أرضه».

وواصل: "إننا باقون فوق أرضنا رغم هول المجازر والإرهاب ولن نرحل عنها أبداً وسننتصر آجلاً أم عاجلاً على هذا الاحتلال البغيض المجرم، وسنفشل كل المؤامرات الرامية إلى تصفية قضيتنا الفلسطينية"، مشدداً أن: "شعبنا قادر بالإرادة الصلبة وبثباته وصموده وصبره ومقاومته على الانتصار آلة القتل والدمار، وبدعمكم ومساندتكم وكل شعوبنا العربية والإسلامية والعالم الحر لنا وبمواقفكم الشجاعة بالتأكيد سيكون هذا الانتصار أقرب".

مشاركات شعرية

تضمّن المهرجان مشاركات شعرية للشاعرة هنادي الجودر والشاعر ناصر زين، حيث ألقيا قصائد تضامنية مع شعب فلسطين في كفاحه، محيية بطولته والتضحيات الجليلة التي يقدمها أشقاؤنا في غزة وكل فلسطين، ومفعمة بمشاعر الامل والتفاؤل في النصر المبين الذي سيحققه شعب فلسطين البطل.

وتولى تقديم فقرات المهرجان عضو المكتب السياسي للتقدمي الرفيق وليد باقر.

غزّة الشاهدة والشهيدة

ما من شعب على وجه الأرض يواجه ما يواجهه الشعب الفلسطيني من توزّع على بقاع مختلفة من أرضه التاريخية، فضلاً عن أولئك الذين بقوا في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨، التي عليها تشكّل الكيان الصهيوني بمباركة دولية وتخاذل عربي، وجد بقية الفلسطينيين ممن بقوا على أرض فلسطين أنفسهم موزعين على قطاع غزّة والضفة الغربية، اللذين آلا إلى الاحتلال الإسرائيلي في عدوان ١٩٦٧، وعليهما تشكّلت فيما بعد السلطة الفلسطينية بعد إبرام اتفاقات أوسلو، وهي اتفاقات لم تنه الإحتلال، إنما استدرجت القيادة الفلسطينية إلى شرك خبيث، ما زالت عاجزة عن الإفلات من شباكه، كما يتبدى ذلك خصوصاً، في اللحظات الصعبة، الحاسمة كما هي حال العدوان الهمجي على غزّة اليوم. إضافة إلى ذلك هناك فلسطينيو الشتات الموزعون على المخيمات في البلدان المجاورة لفلسطين، خاصة الأردن ولبنان وسوريا والأردن، فضلاً عن أراضي اللّه الواسعة التي استقبلت وتستقبل حالات مختلفة من التيه الفلسطيني الموجع.

د. حسن مدن

ورغم أن المأساة الفلسطينية الممتدة عقوداً طويلة تتوالى فصولاً من الدم والتشرد والوجع، ألا أن ما يطلق عليه، زيفاً، المجتمع الدولي ما زال ينظر للجلاد الصهيوني بصفته ضحية، غير مكترث بعذابات والآم الضحايا الحقيقيين. يافطة "المجتمع الدولي" هي تمويه على الحقيقة الساطعة، من أن إرادة هذا المجتمع مسلوبة ومصادرة من الدول التي صار الكثيرون يجدون حرجاً في تسميتها بتوصيفها الحقيقي: الدول الإمبريالية، التي هندست تسليم فلسطين للعصابات الصهيونية، والتي أمّنت لإسرائيل كل أسباب البقاء، التي لا تملكها في محيط هي دخيلة عليه وعلى تاريخه، وهذا ما نراه اليوم من اندفاع واشنطن في تزويد المعتدي بأحدث الأسلحة واشدّها فتكاً، وإرسال حاملات الطائرات إلى البحر الأبيض المتوسط نصرة له، لأنه عاجز عن الدفاع عن نفسه منفرداً.

أرض غزّة المحروقة بالنار الاسرائيلية، برهنت على أن الجيش الذي يتباهى بأنه لا يقهر وقف متردداً أمام بوابات غزّة وأبنائها البواسل، الذين يخوضون حرباً غير متكافئة، ولكنهم يصرّون على ألا يرفعوا الرايات البيض أبداً، ويصممون على القتال والموت دفاعاً عن أرضهم وقضيتهم العادلة، وفي هذا يكمن الفرق بين أصحاب قضية عادلة وبين عصابات مستوطنين مستجلبة من أقاصي الدنيا لتقيم دولة على أرض ليست لهم.

وليس العدوان الصهيوني الجاري حاليا على غزّة هو الوحيد أو الأول من نوعه على القطاع واهله، ففي العام 2005 انسحب الجيش الإسرائيلي من القطاع، بعد 38 عاما من الاستيلاء عليه من مصر في حرب الأيام الستة في 1967، وأنشأت إسرائيل حينها منطقة عازلة بين القطاع والأراضي التي تسيطر عليها، بعد إخلاء 25 مستوطنة إسرائيلية كانت داخل القطاع، وأبقت على عدد من التجمعات في المنطقة المتاخمة للمنطقة لهذه المنطقة العازلة، تتكوّن من حوالي 50 بلدة معروفة منذ ذلك الحين، هي التي صارت تعرف بغلاف غزّة، وهو الاسم الذي أصبح متداولاً في الأنباء مؤخراً، وكان مسرحاً للعملية الفلسطينية والمواجهات المسلحة مع جيش الاحتلال.

رغم انسحاب إسرائيل العسكري من غزّة، لم يتوقف الاستهداف الصهيوني للقطاع، فبعد أقلّ من عام، ورداً على قيام مقاتلو حماس بأسر مجند إسرائيلي في هجوم على الحدود، ردّت إسرائيل بضربات جوية وتوغّل داخل القطاع، وازدادت حدة المواجهات اللاحقة بعد سيطرة حماس على غزّة في مواجهة مع حركة فتح في العام 2007، وفي ديسمبر/ كانون أول شنّت إسرائيل هجوماً عسكرياً على القطاع استمر 22 يوماً رداً على إطلاق صواريخ على بلدة سديروت بجنوب إسرائيل، وتوالت المواجهات العسكرية في أعوام 2012، 2014، 2018، 2021، 2022، وفي كل هذه المواجهات قدّم الفلسطينيون ضحايا كبيرة، من المدنيين بوجه خاص، نتيجة استهداف القطاع بالطيران والصواريخ، كما استشهد الكثير من مقاتلي حماس وغيرها من الفصائل الفلسطينية، واغتيل بعض قادتها، لكن كلّ ذلك لم يثن الشعب الفلسطيني عن مواصلة كفاحه وبذل التضحيات من أجل انتزاع حقوقه المشروعة، وفي مقدّمتها حقه في إقامة دولته الوطنية المستقلة، رغم الخلل الكبير في ميزان القوى، والدعم غير المحدود الذي تقدّمه الولايات المتحدة وحلفاؤها الأوروبيون لإسرائيل.

غزّة اليوم هي شاهدة وشهيدة في الآن ذاته. شاهدة ليس فقط على همجية العدو الصهيوني التي لم تعد بحاجة إلى "إثباتات" إضافية، فالسجل الدموي الحافل لهذا العدو مليء بالفظاعات، وإنما على هوان العرب وذلّهم وفرقتهم وخذلانهم، وغزّة شاهدة على هشاشة نظرية "الجيش الذي لا يقهر" التي يتباهى بها قادة الكيان المصطنع منذ تاريخ زرعه في المنطقة، فقد فوجئت إسرائيل وحلفاؤها، بل والعالم كله، بالعملية العسكرية الفلسطينية النوعية، حين نجح مقاتلو حركة "حماس» في عبور الحدود بالبر والبحر والجو، وحطّموا الحاجز شديد التطور الذي اقامته إسرائيل للفصل بين الأراضي الواقعة تحت سيطرتها وقطاع غزّة، وأسر ما يزيد عن مئتي رهينة، بينهم الكثير من ضباط جيش العدو وجنوده، وكشف ذلك ليس فقط عن التحضير المحكم للعملية، وإنما أيضاً عن أوجه هشاشة في منظومة الأمن والاستخبارات والدفاع الإسرائيلية، كما برهنت هذه المنظومة على تخبطها مرة أخرى، حين صرّح رئيس وزراء دولة العدو نتنياهو، في إطار إعلانه لحالة الحرب، ولأول مرة منذ خمسين عاماً، في صبيحة اليوم الأول من اقتحام المقاتلين الفلسطينيين لأراضي غلاف غزّة، أنه سيجري القضاء خلال الليل، على كل المقاتلين الذين تسللوا إلى داخل تلك الأراضي، مهدداً بأنه لن يُسمح لأحد من أولئك المقاتلين بالفرار، متعهداً باستعادة ما سيطروا عليه من مواقع وأراض خلال ساعات، ولكن جيش الاحتلال احتاج لأكثر من ثلاثة أيام

كي يعلن نجاحه في بلوغ ذلك، بعد مواجهات دامية وشرسة مع المقاتلين الفلسطينيين، مع استمرار توارد الأنباء عن وجود ما يصفه العدو بالخلايا النائمة، ظلّ أفرادها يتصدون لقوّاته في مناطق مختلفة من محيط القطاع، وتوارد أنباء إسرائيلية عن حالات تسلل جديدة لمقاتلي حماس وسواها من الفصائل لأراضي غلاف غزّة، رغم كل الإحكام العسكري والاستخباراتي الإسرائيلي على الحدود.

من أبلغ ما قيل داخل إسرائيل نفسها حول ذلك، ما نشرته صحيفة "هآرتس" بقلم ألون بينكاس، في مقال بعنوان: "7 أكتوبر 2023: تاريخ سيبقى عاراً على إسرائيل"، اعتبر فيه هجوم حماس "بمثابة كارثة إسرائيلية مروعة، إذ فشلت الدولة بقيادة رئيس الوزراء نتنياهو وجيش الدفاع الإسرائيلي بشكل مذهل في حماية مواطنيها"، مضيفاً أنه "لا يمكنك المبالغة في تقدير حجم وقوة موجات الصدمة المدويّة لهجوم يوم السبت على إسرائيل. هذا هو يوم الغفران عام 1973 مرة أخرى"، ومؤكدا على أنه "سيكون من المستحيل تجنب السؤال الكبير: ماذا حدث لنا، وكيف وقعنا في مثل هذا الفخ القاتل؟".

وينقل الكاتب والمحلل الأمريكي توماس فريدمان، وفي مقال له في "نيويورك تايمز" عن ناحوم بارنيا، كاتب العمود المخضرم في صحيفة "يديعوت احرانوت"، وصفه للسابع من أكتوبر بأنه "أسوأ يوم أستطيع أن أتذكره من الناحية العسكرية في تاريخ إسرائيل"، مشيراً إلى أنه "كان هناك إذلال محض للجيش الإسرائيلي: في عام 1973، تعرضنا لهجوم من قبل أكبر جيش عربي، مصر، اما هذه المرة، تمّ غزو إسرائيل في 22 موقعًا خارج قطاع غزة، بما في ذلك مجمعات تصل إلى 15 ميلًا داخل إسرائيل، من قبل قوة عسكرية صغيرة لم تغزو إسرائيل فحسب، فتغلبت على قوات الحدود الإسرائيلية؛ بل أعادت رهائن إسرائيليين إلى غزّة عبر نفس الحدود – وهي الحدود التي أنفقت فيها إسرائيل ما يقرب من مليار دولار لإقامة جدار كان من المفترض أن يكون غير قابل للاختراق فعليًا، وهذه ضربة صادمة لقدرات الردع الإسرائيلية».

وغزّة شاهدة، مرة أخرى، على زيف دعاوى الغرب، أمريكا في المقدّمة ثم أوروبا التابعة لها، والمؤتمرة بأمرها، حول حقوق الإنسان، فها هي إزدواجية المعايير، وسياسة الكيل بمكيالين، والنظر بعين واحدة، تتجسد في أفظع الصور، في موقف الغرب الداعم بشكل مطلق، وبدون تحفظات، للجرائم الوحشية التي يرتكبها الكيان ضد السكّان المدنيين، حيث يزداد عدد القتلى كل يوم بالمئات والجرحى بالآلاف، فيما جرى ويجري تدمير المناطق السكنية بالكامل، على رأس ساكنيها من الأبرياء، وغالبيتهم من النساء والأطفال والشيوخ، فالغرب الذي أقام الدنيا وأقعدها ضد روسيا على خلفية حرب أوكرانيا

متهماً إياها بأقذع التهم، يبارك للعدو الصهيوني وحشيته وبشاعة اجرامه ضد الأبرياء.

غزّة الشاهدة هي في الوقت ذاته شهيدة تُقتل في صمت، فيما العالم لا يكتفي بالتفرج على المجازر وإنما مباركة حرب نتنياهو عليها، لكن غزّة الشاهدة والشهيدة، تقاوم باسم فلسطين والعرب جميعاً، حتى لو اختار بعض هؤلاء العرب أن يقبلوا بالتفرج على ما يجري صامتين خيارا لهم، فالشعب الفلسطيني، في غزّة خاصة، الذي يواجه القتل اليومي لآلة العدوان الصهيونية، هو استثناء اللحظة الراهنة في الصمود والمواجهة، حتى لا نصبح جميعا عبيداً للمشروع الصهيوني الذي يزداد تغوّلاً وجنوناً مع صعود الاتجاهات النازية المتطرفة داخل الكيان، وأصحابه يرون كيف تتوالى قطاف مشروع الفوضى الخلاقة والشرق الأوسط الجديد، فما تشنّه قوات الاحتلال في قطاع غزّة هو حرب إبادة بالمعنى الحرفي للكلمة، في إطار مخطط شرير يندرج ضمن أهداف الاحتلال القائمة على إخلاء الأراضي الفلسطينية المحتلة من أصحابها الاصليين، وإجبارهم على تركها بتخييرهم بين الموت تحت القصف الإسرائيلي أو النزوح خارج أراضيهم، وهي أهداف مبنيّة، في الجزء المتصل منها بغزّة، بتوطين أهلها في سيناء، وهو أمر لا ينال فقط من جوهر الحقّ الفلسطيني، بهدف محوه كلية، وإنما يطال أيضاً الأمن القومي المصري، وبالتالي الأمن القومي العربي برمته.

مطرقة البرلمان

طـــوفـــــان الأقصـــى..
هـــل يُصحـــح البـــوصلـــة؟

لسنا بحاجة للقول إن عدوانية الكيان الصهيوني وما تمارسه حكومته من إرهاب منظم وعدوانية ضد الشعب الفلسطيني فاقت كل ما عرف عن هذا الكيان من وحشية منذ انشاءه منذ أكثر من سبعين عاماً، فالمجازر البشعة التي ترتكبها آلة الحرب الصهيونية لم تعد خافية على العالم وصناع القرار فيه، خاصة وأن وسائط الإعلام المرئي والمسموع و«السوشيال ميديا» باتت تنقل لنا وعلى مدار الساعة جرائم الاحتلال وممارساته القمعية ضد شعبنا الصامد في فلسطين، وحتى في فترات الهدوء النسبي التي تتسم عربياً على وجه التحديد، بحالة من الترويج غير المبرر والمدفوع الثمن، بطبيعة الحال، لنظام الفصل العنصري في الأراضي المحتلة من قبل منظمات دولية وأنظمة داعمة وأخرى متخاذلة مع دولة الكيان، تحت مبررات تحقيق الاستقرار وتعزيز مسارات التنمية أو التعاون الاقتصادي وغيرها من ذرائع وأوهام، غير أن ذلك كله سرعان ما يخبو ويتلاشى منذ أول وهلة حين يتم تفعيل آلة الحرب الصهيونية مجدداً، ليتمّ تناسي كل حديث عن التنمية والتعاون، ليكتشف الجميع بعدها أن هذا الكيان الاستعماري المزروع عنوة في محيطنا العربي ما هو إلا مجرد أداة لتعزيز حالة الهيمنة وعدم الاستقرار وإشعال الحروب والفتن، حيثما تصل إليه أذرعه واستخباراته المدعومة بكل قوّة من قبل قوى الاستعمار الامبيريالي القديم المتجدد.

وليس أدلّ على ما نقول وما نتابعه اليوم، ومع اشتعال الحرب الدائرة في غزة الصامدة من تهافت واندفاع دولي مجنون تقوده الولايات المتحدة الاميركية وشركائها الغربيون في الوقوف بكل امكاناتهم العسكرية وأساطيلهم العابرة للمحيطات وإمكاناتهم البشرية إلى جانب كيانهم المصطنع، الذي يرونه ضرورة لا يمكن التفريط بها مهما جرت في العالم من تحولات سياسية واقتصادية وتكنولوجية، فها هي أساطيل الغرب وجيوشه وعتاده واستخباراته تتناسى للوهلة الأولى أنها لازالت منهكة ومتعبة من تبعات وخيبات ودمار حربهم الضروس في أوكرانيا، لتنتقل تلك البوارج والأساطيل لمنطقة يراد الإبقاء فيها على حالة احتدام الصراع منذ عقود سبعة مضت، بسبب وجود هذا الكيان المبني على أشلاء شعبنا الفلسطيني الصامد؛ تلك السياسات الإمبريالية القائمة على إشاعة الإرهاب المنظم والحروب والانقلابات والفتن ونشر الفقر وصناعة الدول الفاشلة، الغارقة في مديونياتها دون توقف، استكمالا إلى ما تفتقت عنه عقلية وسياسات الغرب منذ سايكس بيكو حتى اليوم.

الغريب أن العديد من الأنظمة الخانعة تتناسى ذلك سريعاً نزولاً عند رغباتها في البقاء بأي ثمن، بل وتتناسى كل تلك الحقائق محاولة إقناع شعوبها أن السلام لازال ممكناً مع هذا الكيان، وإن بقيت كل تلك الحقائق ماثلة أمام الجميع!!

وفي ظلّ ما رشح حتى الآن بعد العدوان الاخير على غزة المقاومة، وبعد تمريغ وجه الاحتلال في الوحل بأدوات وإمكانيات المقاومة العسكرية المتواضعة، لازال البعض يكابر في أن السلام لازال ممكنا مع الكيان، وأن إمكانيات بناء شراكات اقتصادية واستراتيجية معه من شأنها أن تقود إلى مزيدٍ من الاستقرار المزعوم والتنمية المأمولة في المنطقة!

من المفيد القول إن طوفان الأقصى قد أجهض حتى الآن على الأقل، جزءاً مهماً من توجهات التطبيع مع الكيان الصهيوني، بعد أن كانت حكومته منتشية تماماً بمسارات التطبيع، غير مكترثة بالحقّ الفلسطيني المشروع، أو حتى بالقرارات والإتفاقيات الدولية المتعلقة بالقضية المركزية لشعوب دول المنطقة، وهذا في حدّ ذاته نجاح يحسب لقوى المقاومة بكل تأكيد، إلا أن ذلك غير كاف بكل تأكيد، فالمؤمل كحد ادنى أن وحدة الصف والقرار الفلسطيني يجب أن تواكب حجم الحدث المزلزل وتبعاته المنتظرة، بعيداً عن أية حسابات من الواضح ان عدة أطراف تطمح بكل وضوح أن تستفيد منها، فهذا الزلزال الذي أعاد قضية فلسطين للواجهة وبكل قوة يجب أن يستثمر فلسطينياً وعربياً وإقليمياً أيضاً، بطريقة تتجاوز التعاطي العاطفي العابر أو الحسابات الخاصة، والذي أثبتت التجارب أنه قابل للنسيان والتجاوز إذا لم يستثمر بشكل جيد، خاصة مع بوادر ومؤشرات واضحة لتحولات إقليمية وعالمية قادمة بقوة لتعيد تشكيل وجه العالم مجددا، وبكل تأكيد صورة المنطقة ضمن تعددية قطبية تعيد للعالم شيئاً من توازنه المفقود.

عبد النبي سلمان

(قف)

القضية الفلسطينية وسياسة الكيل بمكيالين

فهد المضحكي

على المجتمع الدولي أن يدرك حقيقة واحدة وهي أن القضية الفلسطينية لن تموت، خاصة وأن الفلسطينيين ليس لديهم أي سبب للتخلي عنها في ظل الوجود الإسرائيلي غير الشرعي على أراضيهم، والسياسات الصهيونية القائمة على التمييز العنصري، واغتصاب وطنهم بدون وجه حق، والزحف الاستيطاني المجحف على أراضيهم، وحرمان الشعب الفلسطيني من حقوقه الأساسية والإنسانية، ورغم ذلك يظلّ الأمل لديهم باقٍ مهما كانت التحديات والتهديدات. وفي هذا الإطار يأتي ما قامت به عناصر فلسطينية من عملية أطلق عليها "طوفان الأقصى" مخترقة الغلاف الأمني، محطمة بذلك أسطورة القبة الحديدية، وللمرة الأولى يستخدم فيها عناصر تسليح متطورة في الهجوم على المستوطنات، والقيام بعمليات أسر كبيرة للجنود الإسرائيلين مما أظهر الوجه القبيح للعالم.

كتب المحلل السياسي ياسر حمدي: هؤلاء المتشدقون بالإنسانية ويعتبرون أنفسهم الحارس الأمين على حقوقها هاهم يكشفون عن وجههم، ويكيلون بمكيالين، وبدلًا من أن يجبروا إسرائيل على الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني في الدفاع عن أرضه المحتلة، يساندونها على شنّ هجوم ساحق لتدمير قطاع غزة، ومعاقبة كل الفلسطينيين، وقتل المدنيين العزل من أطفال ونساء وهدم المنازل على رؤوسهم، في إنتهاك صريح لأبسط حقوق الإنسان!

إن جرائم القتل والتدمير والتهجير تعني أن الكيان الصهيونى يرتكب جريمة الإبادة الجماعية بحق المواطنين في قطاع غزة، في ظل حملة تجويع مسعورة وقطع الإمدادات بالاحتياجات الأساسية عن المواطنين المدنيين العزل في أبشع العقوبات الجماعية مثل قطع الكهرباء والمياه والأدوية والوقود وغيرها، وسيعني الإقدام على الغزو البري لغزة، توسع الغضب العربي والعالمي ضد الإجرام الصهيونى، والذي رغم كل الإرهاب الإعلامي والسياسي الغربي لم ينخفض ولم ينقلب، ومايزال حجم التعاطف مع القضية الفلسطينية واسعاً حول العالم.

يقول الخبراء: (إذا أقدم "الإسرائيلي" على غزو غزة برياً، فلن يسلم من نتائجه الكبرى، لا الصهاينة ولا حلفاؤهم ورعاتهم. وهذا ما يدركه جيداً الأمريكان على وجه الخصوص، ولذا يسعون – أو على الأقل تيار سياسي ضمنهم – إلى حصر رقعة الصراع لتقليل خسائرهم وخسائر الكيان التي وقعت، ولا مجال للتراجع عنها أو لتعويضها).

كتب الصحفي والمحلل الأمريكي توماس فريدمان، الخبير في السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط والصراع العربي الإسرائيلي، مقالاً في صحيفة "نيويورك تايمز"، يعبر فيه عن مخاوفه من خطّة إسرائيل لاجتياح غزة وعن اعتراضه عليها، يقول فيه إن هذا الاجتياح سيحوّل ما سماه "الهزيمة التكتيكية" التي تعرضت لها إسرائيل على يد المقاومة الفلسطينية في 7 أكتوبر إلى "أزمة استراتيجية وعسكرية طويلة الأمد داخل إسرائيل".

الكيان خسر بكل الأحوال، سواء دخل برياً أم لم يدخل، ولكن إن لم يدخل برياً فإنه سيترك لنفسه هامشاً لتأجيل الخسائر الكبرى المستحقة بعض الوقت لا أكثر، وعلى رأسها: أن الباب قد فتح بشكل لا رجعة فيه نحو إقامة الدولة الفلسطينية على أساس تطبيق القرارات الدولية.

الملفت للنظر هو تصريح مفوض الاتحاد الأوروبي لشؤون وحسن الجوار أوليفر فارهيلي، عن أن الإتحاد الأوروبي علق جميع مساعداته للشعب الفلسطيني، ويراجع المشاريع المشتركة بسبب تصاعد الصراع مع إسرائيل، وكتب على منصة أكس: «وصل نطاق الإرهاب والوحشية تجاه إسرائيل وشعبها إلى نقطة تحوّل.. تقوم المفوضية الأوروبية باعتبارها أكبر طرف مانح للفلسطينيين، بمراجعة مجموعة كاملة من مشاريع التنمية بقيمة تزيد عن 691 مليون يورو، وإن الإتحاد الأوروبي يعلق على وجه السرعة كل المدفوعات لصالح الفلسطينيين، كما يتم تعليق العمل على كل المشاريع الجديدة بما في ذلك لعام 2023»!!..

الغريب أن فارهيلي وصف المقاومة الفلسطينية بالإرهاب! والأغرب هو معاقبة شعب يطالب بأبسط حقوقه في الحياة.. والإتحاد الأوروبي دائمًا ما يصدّر نفسه للعالم أنه راعي حقوق الإنسان والمحافظة عليها! فأين هو من حقوق الإنسان التي تنتهكها قوات الإحتلال الصهيوني على مرآى ومسمع من العالم كله تجاه الأطفال والنساء وكبار السن بل وكافة الشعب الفلسطيني؟!.

بعد عملية طوفان الأقصى، سارع الغرب بمعاقبة الشعب الفلسطيني كله، والوقوف بجانب المحتل الغاصب ومساندته بالقوة تجاه صاحب الحق والأرض، حتى أن الولايات المتحدة أرسلت حاملات الطائرات وعليها عدد من الجنود الأمريكيين وكل طواقمها لمساعدة إسرائيل في شن حرب خسيسة على قطاع غزة. ولأن العالم يكيل الحقيقة بمكيالين، وفضحتهم عملية طوفان الأقصى، فقد وصفوا المقاومة بالإرهاب، والعدو بصاحب الحق، وانتفضوا جميعًا لمساندة ومؤازرة إسرائيل وتضامنوا معها ضد صاحب الأرض، مع العلم أننا لم نرَ إنتفاضة للنظام العالمي لما تقوم به قوات الإحتلال من انتهاكات سافرة تجاه الشعب الفلسطيني الأعزل منذ عام 1948.

إنتفاضة الدول الغربية ضد القضية الفلسطينية أزاح الستار عن الوجه القبيح لأمريكا ودول الإتحاد الأوروبي، وكشفت حقيقة شعاراتهم الكاذبة عن حقوق الإنسان، وأكدت أن الحقيقة عند الغرب لها وجهان وليس وجه واحد كما يدعون، وإنهم يستغلون كل شعاراتهم المضللة لإيهام الشعوب العربية ودول العالم الثالث والضغط على حكوماتهم بإصدار تقارير وهمية ومزيفة بحجج واهية، الغرض منها خدمة مصالحهم الخبيثه تجاه تدمير هذه الشعوب.

يبقى السؤال: ما هو السبب وراء قوة ودعم العالم للنظام الصهيوني دائماً ؟

والإجابة تتمثل في أنّ النظام الصهيونى يعتمد على ثلاث محاور؛ أوّلها أن هدفهم في أي استيلاء محدد، وثانيهم أن نجاحهم الدائم في معرفة أساليب وكيفية تسويق مبرراتهم في أي قضية، أما المحور الثالث فيتمثل فى إستخدامهم المسكنة والدهاء والكذب والخداع في إستمالة أصحاب الوجوه المتعددة فى العالم كأوروبا والأمريكان.

إنّ ما يحدث من إعتداءات وحشية متواصلة تمارسها قوات الإحتلال بحق الشعب الفلسطيني، يتطلب وقفة جادة وحاسمة من المجتمع الدولي، من أجل تجنب تعريض المدنيين للمزيد من المخاطر، وبذل كافة الجهود وعلى كل المستويات حتى تتحقق حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة، وأيضا من أجل تجنب المنطقة المزيد من التوتر والتصعيد وعدم الاستقرار.

بصراحة

طوفان الأقصى يُزلزل الكيان الصهيوني

معظم الدول المستعمَرة في آسيا وأفريقيا نالت استقلالها الوطني منذ القرن الماضي، ورحل نظام الفصل العنصري «الأبارتيد» في جنوب أفريقيا عام ١٩٩٠، ولكن بقي آخر محتل ومستعمر في القرن الحالي هو الكيان الصهيوني جاثماً على رقاب الشعب الفلسطيني الشقيق منذ عام ١٩٤٨، خمسة وسبعون عاماً وهو يمارس سياسة القتل والاعتقال والترهيب والتهجير بحقه، ولا يلتزم بالقرارات الدولية الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة منذ عام ١٩٤٧، بما في ذلك قرار التقسيم وقيام الدولتين، رغم أن هذا القرار مرفوض من العديد من القوى السياسية الفلسطينية والعربية والآن أكثر من السنين الماضية، لكنه يحظى بدعم وتأييد من الولايات المتحدة الأمريكية والعديد من الدول الأوروبية، رغم معرفتهم بالجرائم والمجازر الدموية التي ارتكِبت ولازالت ترتكب بحق الشعب الفلسطيني الشقيق، ولكنهم لا يحركون ساكناً.

فاضل الحليبي

تفاوضت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، سرياً، بقيادة الشهيد ياسر عرفات مع ممثلين عن الكيان الصهيوني في أوسلو عاصمة النرويج في عام 1993، وانتهت المفاوضات إلى ما عرف فيما بعد باتفاقية أوسلو بعد التوقيع عليها من كل من إسحق رابين وياسر عرفات، في البيت الأبيض في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد رفضتها العديد من فصائل الثورة الفلسطينية، في الوقت الذي لازالت قيادة منظمة التحرير تتمسك بها، وانطلق رفض الفصائل الفلسطينية لها، لكونها تنتقص من الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وفي مقدمتها حق العودة للاجئين وقيام الدولة المستقلة، ومن وقّع على الاتفاقية من قبل الكيان الصهيوني، أي رئيس الوزراء الصهيوني الأسبق إسحق رابين على يد عنصر متطرف من القوى اليمينية الصهيونية التي رفضت التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية أو الاعتراف بها، وبعد ذلك عُقِدَ مؤتمر مدريد في أواخر أكتوبر من عام 1991 بحضور الدول العربية: سوريا، لبنان، مصر، ووفد مشترك فلسطيني – أردني بإشراف روسيا والولايات المتحدة الأمريكية وبالطبع بحضور الوفد الإسرائيلي، ولكن المؤتمر فشل بسبب إصرار الكيان الصهيوني على مواقفه ورفضه الحقوق المشروعة للشعب الفلسطين. .وبدءاً من 29 مارس من عام 2001 تمّت محاصرة الزعيم الفلسطيني الراحل ياسر عرفات في مقر إقامته في رام الله، بأمر مباشر من رئيس الوزراء الصهيوني آنذاك أرئيل شارون وبعدها تمّ قتله مسموماً من قبل الكيان الصهيوني في عام 2004 حيث توفي في باريس التي كان يُعالج فيها.

إن كل ذلك يُظهر أنّ تاريخ الصهاينة أسود، فهم لا يريدون قيام الدولة الفلسطينية الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس، ويدعمهم في ذلك معظم الرؤساء الأمريكان، واليوم تتشكل الحكومة من القوى اليمينية والأكثر تطرفاً وفاشية في تاريخ الكيان بقيادة نتنياهو، ففيها قوى تمثل الفاشية والعنصرية الصهيونية والمستوطنين، ومنذ تشكيل تلك الحكومة قُتِلَ المئات من الشباب الفلسطيني في مدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية، وتمَّ الاعتداء عشرات المرات على المصلين الفلسطينيين في المسجد الأقصى من خلال عصابات المستوطنين وبتعاون مع الشرطة الإسرائيلية، واستمرّ سجن واعتقال الآلاف من الفلسطينيين في سجون الاحتلال الصهيوني، هذا في الضفة الغربية، أما قطاع غزة فهو محاصر منذ سبعة عشر عاماً.

عملية (طوفان الأقصى) التي قامت بها المقاومة في السابع من أكتوبر 2023، هي نتيجة تلك الأسباب التي وصلت إلى طرق مسدودة ، فلم يُرفع الحصار عن قطاع غزة ولم يتوقف الكيان الصهيوني عن سياساته العدوانية في الضفة الغربية والقدس، وظلّ يمارس عربدته الفاشية هناك بالقتل والاعتقال والترهيب والمطاردة للشباب الفلسطيني، وخلال عام 2023 قُتل في الضفة الغربية أكثر من 700 شاب، مما أدَّى إلى تزايد المقاومة المسلحة في وجه قوات الاحتلال الصهيوني في أكثر من مدينة ومخيم، والتصدي لقوات الاحتلال الصهيوني بكل بأس وشجاعة وزاد الوضع سوءاً، بعد أن شكَّل نتنياهو حكومته الصهيونية الفاشية التي زاد العديد من وزرائها من كرههم وعدائهم للفلسطينيين من خلال استفزازهم والاعتداء عليهم في القدس وفي المسجد الأقصى خاصة.

وحتى اتفاقية "أوسلو" التي وقعوا عليها، تخلَّى الكيان الصهيوني عنها، ولا يلتزم بأي قرار دولي والأكثر من هذا وذاك فإنه يحصل على دعم من قبل الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي ، كما يتّضح ذلك حالياً بعد عملية «طوفان الأقصى»، وما تلاها من حرب الإبادة على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة المنكوبة، حيث سكت ما يصف نفسه بالعالم الحر عمَّا يجري من جرائم حرب يندى لها الجبين، ويجري تحميل الضحيةَ وزر الجرائمَ والمجازرَ المرتكبة في غزة، وها نحن شهود على حقيقة تشدق الغرب بالديمقراطية وحقوق الإنسان، فيما يقوم قادة هذا الغرب، الأمريكان والأوروبيون، بتشجيع الكيان الصهيوني على إبادة الشعب الفلسطيني كما تكشف ذلك تصريحات الرئيس الأمريكي والرئيس الفرنسي، والمستشار الألماني ورئيسة وزراء إيطاليا وغيرهم، وسوف يلاحقهم العار والخزي على تلك المواقف التي تكيل بمكيالين، ولا تختلف مواقف الدول العربية المطبعة عن مواقف هؤلاء القادة الأوروبيين والرئيس الأمريكي، بالمقابل تقف الشعوب العربية، قلباً وقالباً، مع المقاومة الفلسطينية وتثمِّن تلك التضحيات الكبيرة من أجل دحر قوات الاحتلال الصهيوني وعصابات المستوطنين، وإقامة الفلسطينية الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس.

على المجتمع الدولي أن يضغط على الكيان الصهيوني بوقف مجازره المروعة الدموية بحق أطفال وشباب ونساء فلسطين، فالمجزرة التي ارتكِبت في يوم الثلاثاء 17 أكتوبر 2023 في مستشفى المعمداني وراح ضحيتها المئات من الفلسطينيين الأبرياء بما في ذلك المرضى وغيرهم، جاءت نتيجة الدعم والمساندة من قبل الإمبريالية الأمريكية وحلفائها الذي صدَّعوا رؤوسنا وهم يتباكون على الشعب الأوكراني، فيما يغضون الطرف عن الإبادة الصهيونية للشعب الفلسطيني في قطاع غزة، والمخزي أن يتقاطع الموقف العربي الرسمي مع الأمريكان في رؤيته للحرب وتحميل المقاومة الفلسطينية المسؤولية، وهي التي تدافع وتقاتل من أجل الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، فيما تطالبها شعوبها باتخاذ مواقف واضحة بالتخلي عن اتفاقيات التطبيع وطرد سفراء الكيان الصهيوني من بلداننا العربية، والوقوف مع نضال ومقاومة الشعب الفلسطيني الشقيق لنيل حقوقه.

فلسطين في القلب

وأنا أكتب هذه السطور، ترتكب إسرائيل جرائم حرب، وجرائم ضد الإنسانية في قطاع غزة وعلى نحو غير مسبوق منذ العام ١٩٤٨، فقد تمّ تدمير كل شيء: البشر والحجر والشجر وأصبحت غزة أقرب إلى الأطلال بعد أن سوّيت أرضاً أحياء بكاملها وشطبت عشرات العائلات بكامل أفرادها من السجل المدني، وقتل ما يزيد عن خمسة آلاف فلسطيني، أكثر من نصفهم من النساء والأطفال، إضافة إلى الترحيل القسري للسكان في ما يشبه التطهير العرقي بعد خنق قطاع غزة، مانعة عنه الإمدادات بالماء والكهرباء والأغذية والدواء والوقود .

حميد الملا

قام الجيش الإسرائيلي بقصف القطاع على نحو متواصل من الجو، والبر، والبحر وتم إلقاء ما يزيد على أربعة ألآف طن من القنابل في عملية لم يسبق لها مثيل في التاريخ الحديث، ولكن هذا العدوان الهمجي المكثف دليل ضعف لا قوّة، ودليل ذلك أن الولايات المتحدة الأميركية ودول أوروبية اخرى تهبّ سريعاً لمساعدة هذا الكيان الغاصب، ما يؤكد الطابع المنافق والساقط أخلاقياً للغرب الذي لا يكتف، وحتى في هذا الظرف بمساواة الضحية بالجلاد، بل يُمعن في تشويه الحقائق ويكشف عن وجهه القبيح في كيل الاتهامات للمقاومين الفلسطينين وتشويه صورتهم بتلفيق الأكاذيب.

التطورات الحاصلة في غزة ومحاولة الكيان الإسرائيلي الدخول براً واحتلال غزة مجدداً دليل آخر على قلة الحيلة لهذا الكيان بعد أن عرّت المقاومة الفلسطينية الجيش الذي لا يُقهر ونجحت في تحطيم هيبة الردع الصهيوني، وفرضت معادلة جديدة في الحروب الذكية باستخدام ما تيسر للمقاومين من أسلحة وعتاد حتى ولو كان لا يعادل شيئاً أمام الأسلحة الإسرائيلية من دبابات وطائرات وصواريخ وغيرها من الأسلحة.

إن يوم السابع من أكتوبر ليس كما قبله من أيام بالنسبة للكيان الصهيوني، وبالخصوص لمواطنيه إذ منذ الآن سيعيشون رعب تلك اللحظة وسيشعرون بعدم الأمان الكلي، وقد يكون ذلك إيذاناً بالهجرة المعاكسة من إسرائيل إلى دولهم الأصلية التي أتوا منها، وقد يحصل هذا في القريب العاجل، حيث أعادت المقاومة الفلسطينية في خلال ست ساعات الهيبة للمقاومين، ونسفت في خلال تلك الساعات قوّة إسرائيل أمام الشعوب العربية، مما انعكس إيجابًا في انتشال الشعوب العربية من حالة اليأس والقنوط، وأصبحت القضية الفلسطينية تتصدر المشهد بعد أن غُيبت وشُوهت من قبل الصهاينة ومن لف لفهم من المتصهينين والمطبعين والمستسلمين للروايات والأكاذيب الأسرائيلية والغربية، وما المظاهرات والوقفات الموآزة للشعب الفلسطيني إلا دليل على ذلك.

كما كشفت بطولات المقاومة مأزق مشاريع التطبيع مع الكيان الصهيوني، حيث أصبح المطبعون منبوذين ومحتقرين ولا مكان لهم في ظل هذه التطورات المتسارعة، فبطولات الغزيين والشعب الفلسطيني أخرست كل المتصهينين، وأفشلت مخططاتهم ومساعيهم في تشويه صورة المقاومة باعتبارها إرهابية، وبأن الفلسطينين لا يستحقون المساعدة والدعم، ووصفهم، ظلماً بـ «الجبناء» و«المتخاذلين» وغيرها من التهم المخزية، وباتت صفقة القرن وما يعرف بالإتفاقيات الإبراهيمية في مهبّ الريح، بعد أن مرغت الهيبة الإسرائيلية في التراب، وحتى قبتهم السماوية لم تفلح في أيقاف الكثير من صواريخ المقاومة، فالردع الصيوني تحطم في دقائق معدودات امام تلك الصواريخ مما سبب فشلاً ذريعاً لأمن هذا الكيان وجعله اضحوكة أمام الرأي المحلي الإسرائيلي والعربي والدولي مما سيؤثر على معنويات جيشه الذي زعم أنه «لا يُقهر»، مروجاً هذه الأكذوبة للعالم.

البوصلة تغيّرت وأصبحت فلسطين في الواجهة بعد أن غيبّها العالم خلال تلك السنين، أما الأبواق الصهيونبة والمتصهينون العرب فقد تواروا عن الأنظار ويعيشون حالة رعب وحيرة جراء هذه الأحداث بعد أن انقلبت المعادلة وأصبحت الشعوب العربية في يقظة عما يحدث أمامها وما تفعله إسرائيل بالشعب الفلسطيني المناضل من قتل وتنكيل وتشريد للنساء والأطفال والعجزة، حيث نجحت المقاومة في إبقاء شعلة النضال ملتهبة ضد الاحتلال حتى تحرير فلسطين من هذا الكيان الغاصب، مما يؤكد تمسك الشعب الفلسطيني بقضيته وتمسك الشعوب العربية بفلسطين كقضية مركزية في قلب كل عربي ومسلم وكل محبي الحرية في العالم.

حققت المقاومة أيضاً نصراً استراتيجياً بإعادة القدس إلى الواجهة حالها كحال بقية الأراضي الفلسطينية الأخرى، فأي اعتداء على القدس والمقدسيين سيلقى منذ اليوم رداً من المقاومة، فالمشهد أصبح الآن واضحاً لدى الكل: فلسطين هي القضية وفي الصدارة وتحتاج إلى تضافر الجهود العربية والدولية إلى حل قضية شعبها، وإسرائيل ما هي إلا كيان دخيل وغاصب ومحتل لهذه الأراضي عليه الرحيل وترك الشعب الفلسطيني ليقرر مصيره بنفسه ويقيم دولته على أرضه وعاصمتها القدس الشريف.

ما يثلج الصدر رغم المآسي والقتل والتدمير الذي يحدثه الكيان الصهيوني في غزة وفلسطين وسوريا ولبنان هو أن الشعوب العربية استيقظت من غفوتها، لتتذكر أن الكيان الصيوني عدوها الأول، وفلسطين هي قبلة العرب والمسلمين، ولا خيار سوى مقاومة هذا الكيان الغاشم وداعميه الأمريكان والأوربيين الذين يوفرون الغطاء لتوحشه وبطشه، متجاهلين مزاعمهم حول حقوق الإنسان، مكتفين بالتباكي على المدنيين الإسرائيليين، أما ما يحدث في غزة والمدن الفلسطينية الأخرى فلا يعنيهم في شيء، وقد عرّتهم هذه الحرب أمام العالم وبينت ازدواجية المعايير التي يتعاملون بها مع الشعوب الفقيرة والمضطهدة.

إن المجازر الجماعية التي يقوم بها الصهاينة لن تثني هذا الشعب الجبار عن مواصلة مسيرته في التحرر من هذا الكيان الدموي الغاصب، فالشعوب الحرة وقضاياها العادلة لا تموت، والنصر قادم، وكل ما يفعله الكيان الصهيوني الآن لن يطفئ إرادة الفلسطينيين في تحقيق حريتهم.

جرائم الكيان الصهيوني

في النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية

تابع العالم الهجوم الشرس العشوائي الذي شنه الكيان الصهيوني على قطاع غزة رداً على عملية (طوفان الأقصى) التي قادتها حركة حماس. استخدم هذا الكيان في الهجوم أسلحة متفجرة أسقطها على مناطق مكتظة بالسكان، دمرت المدارس والمستشفيات والبنية التحية لقطاع غزة وسبّب ذلك ضرراً كبيراً للمدنيين، حيث استشهد منهم عدد كبير من الأطفال والنساء وكبار السن، وكل ذلك تمّ بشراكة من عدوة الشعوب، الولايات المتحدة الامريكية والدول الغربية.
ويعدّ ذلك حسب المادة (٥) من نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية المعتمد في روما عام ١٩٩٨ من الجرائم التي تدخل في اختصاص هذه المحكمة، فهي جرائم إبادة جماعية، وجرائم ضد الإنسانية، وجرائم حرب، وجريمة عدوان، وتتوافر فيها جميع اركان الجريمة.

ما يرتكبه العدو الصهيوني في غزة يُعدّ من الجرائم التي تدخل في اختصاص المحكمة الجنائية الدولية، فهي جرائم إبادة جماعية تتوافر فيها جميع اركان الجريمة

حسن إسماعيل

ومن أبرز هذه الأركان في جريمة الإبادة الجماعية أن العدو الصهيوني قتل وأباد أشخاصاً، أو أسفر فعله عن إلحاق أذى بدني أو معنوي جسيم بهم، وفرض أحوالاً معيشية معينة عليهم، ونقلهم قسرا، بما فيهم الأطفال دون سن الثامنة عشرة، وكان ينوي إهلاك جماعة قومية أو اثنية أو عرقية أو دينية، كلياً أو جزئياً، بصفتها تلك. (المادة (6) من نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية).
كما تتمثل أركان الجرائم ضد الإنسانية، التي ارتكبها العدو الصهيوني في القتل المتعمد وهو يعلم أنه يرتكب هذه الجريمة كجزء من هجوم واسع النطاق أو منهجي موجه ضد سكان مدنيين، يهدف بها إبادتهم بقتل جماعي لأفراد مجموعة من السكان المدنيين، كما تعدّ من هذه الجرائم الترحيل أو النقل القسري لسكان غزة إلى مكان آخر بالطرد. (المـادة (7) من نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية).
وتعدّ من جرائم الحرب التي ارتكبها الكيان الصهيوني تعمده شنّ هجوم واسع مع علمه بأن هذا الهجوم سيسفر عن خسائر تبعية في الأرواح وإصابات بين المدنيين الحقت أضراراً مدنية، وضرراً واسع النطاق وطويل الأجل وشديداً للبيئة الطبيعية يكون إفراطه واضحاً بالقياس إلى مجمل المكاسب العسكرية المتوقعة الملموسة المباشرة، وقيامه بمهاجمة أو قصف المدن أو القرى أو المساكن أو المباني التي لا تكون أهدافاً عسكرية بأية وسيلة كانت، وتعمده توجيه هجمات ضد المباني والمواد والوحدات الطبية ووسائل النقل والأفراد من مستعملي الشعارات المميزة المبينة في اتفاقيات جنيف طبقاً للقانون الدولي، وتعمده تجويع المدنيين كأسلوب من أساليب الحرب بحرمانهم من المواد التي لا غنى عنها لبقائهم، بما في ذلك تعمد عرقلة الإمدادات الغوثية على النحو المنصوص عليه في اتفاقيات جنيف. (المادة (8) من نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية).
إن الجرائم التي ارتكبها العدو الصهيوني في حربه على قطاع غزة لا يحتاج إلى كثير من العناء في التحقيق وفي الإثبات، فهي موثقة ومكشوفة وعلى مسمع ومرأى من العالم، وأنه يكفي ما صرح به قادة هذا الكيان، ومن ابرزهم وزير دفاعه (يوآف غالانت)، حين أعلن في اليوم التالي لعملية طوفان الأقصى الإجراءات العقابية قائلاً: (لا كهرباء ولا طعام ولا ماء ولا وقود، كل شيء مغلق)، مضيفاً: (نحن نحارب حيوانات بشرية ونتصرف وفقاً لذلك)، وحين أمر وزير البنية التحتية بالقطع الفوري لإمدادات المياه عن قطاع غزة، وحين أعلن وزير الطاقة أن سلطات الكيان لن تقدّم بعد الآن الكهرباء لسكان غزة.
كل هذه الجرائم تختص بها المحكمة الجنائية الدولية حسب نظامها الأساسي لا جدال فيه ارتكبها الكيان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، لكن السؤال المهم هل يمكن لهذه المحكمة التحقيق فيها ومعاقبة مرتكبيها؟
إن التحقيق في جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية يتم في حالة فيما إذا كانت الدولة التي أرتكب مواطنوها الجرائم عضواً في المحكمة الجنائية الدولية، أو أن تُرتكب الجريمة في بلد عضو في المحكمة الجنائية الدولية، وهذا ينطبق على فلسطين لأنها أصبحت

عضواً في المحكمة منذ عام 2015 ،بعد أن أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً في عام 2012، تمّ بموجبه رفع مستوى فلسطين إلى دولة مراقب غير عضو في الأمم المتحدة. لذلك تمّ وصف هذا التغيير في المستوى بأنه اعتراف فعلي بدولة فلسطين ذات السيادة.

وقد شكّل قبول دولة فلسطين في المحكمة الجنائية الدولية حدثا بارزاً، وأصدرت دولة فلسطين بيانًا أعلنت فيه أن (فلسطين ترحب بهذه الخطوة كخطوة طال انتظارها لدفع العملية قدماً نحو التحقيق، بعد ما يقرب من خمس سنوات طويلة وصعبة من التحقيق الأولي)

وفي 5 فبراير 2021 أعلنت المحكمة الجنائية الدولية أن الأراضي الفلسطينية تقع ضمن اختصاصها القضائي، مما يمهد لفتح تحقيقات بشأن ارتكاب جرائم حرب محتملة فيها، الذي يمتد إلى غزة والضفة الغربية، بما في ذلك القدس الشرقية، وكان الاتهام الموجه للكيان الصهيوني إقامة مستوطنات غير قانونية في الضفة الغربية وانتهاك قوانين الحرب خلال الحرب على غزة 2014، بما في ذلك استهداف منشآت الصليب الأحمر.

وكانت المدعية العامة (فاتو بن سودة) قد قالت في تقريرها للمحكمة أنه تمّ استيفاء معايير التحقيق الكامل، ولكن لم يتم تحديد الاختصاص القضائي، وأنها راضية عن ارتكاب جرائم حرب في الضفة الغربية، بما فيها القدس الشرقية وقطاع غزة.

وفي اليوم الذي أكدت فيه المحكمة الجنائية الدولية فتح التحقيق، أصدر وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن بيانًا أعرب فيه عن (خيبة أمل الإدارة من القرار وانه ليس للمحكمة الجنائية الدولية ولاية قضائية على هذه المسألة. وإسرائيل ليست طرفًا في المحكمة الجنائية الدولية ولم توافق على اختصاص المحكمة، ولدينا مخاوف جدية بشأن محاولات المحكمة الجنائية الدولية لممارسة اختصاصها على الموظفين الإسرائيليين).

وفرضت إدارة الرئيس الأمريكي السابق ترامب عقوبات على المدعية العامة ومسؤول آخر كبير في المحكمة في سبتمبر 2020، ووصف نتانياهو المحكمة الجنائية الدولية بأنها هيئة سياسية معتبراً إن المحكمة بقرارها هذا تلحق ضرراً بحق الديمقراطيات في الدفاع عن نفسها ضد الإرهاب.

ويرى المحامي الفلسطيني محمد دحلة، الخبير بالقانون الدولي، أن قرار المحكمة الجنائية الدولية بشأن الحالة في فلسطين، بالوصول إلى وضع يُحاكم فيه إسرائيليون، سواء كانوا سياسيين أو عسكريين، على قضايا تتعلق بجرائم حرب ضد الفلسطينيين فهذا، بالنسبة لهم، بمثابة هزة أرضية.

غير انه على الرغم من قبول المحكمة الجنائية الدولية عضوية فلسطين في المحكمة وبدء التحقيق في التهم الموجه للكيان الصهيوني بإقامة مستوطنات غير قانونية في الضفة الغربية وانتهاك قوانين الحرب خلال الحرب على غزة 2014، بما في ذلك استهداف منشآت الصليب

الأحمر، فإن هذا لم يمنع الكيان الصهيوني من تكرار انتهاكه للقانون الدولي الإنساني، فشنّ حربه الراهنة على قطاع غزة بقسوة أشد، وانتهاكاً لكل الأعراف والقوانين الدولية، ولعل مرد ذلك لعيوب في المحكمة واجراءاتها التي تؤخر أو تعطل تحقيق العدالة من أهمها ما يلي :

ما يسمى بالدور التكميلي للمحاكم الوطنية، إذ لا تنظر المحكمة في الدعاوى إلا إذا كانت الدول غير قادرة على مساءلة المشتبه بهم أو غير راغبة في ذلك

المحكمة تعاقب الأفراد بصفتهم مجرمين يتحملون مسؤولية جنائية فردية ولا تلزم الدول تَحمّل مسؤولية كبرى الجرائم الدولية التي تدَخل في اختصاصها مثل الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب وجريمة العدوان

تتداخل السياسة بالقانون في الإطار الذي أنشئت فيه المحكمة، فهي منظمة دولية تعمل بشكل وثيق تحت إشراف ورقابة الدول الأعضاء فيها.

يصعب الحديث عن استقلالية المحكمة في ظل سلطتي الإحالة والإرجاء اللتين يمنحهما نظام روما لمجلس الأمن الدولي بموجب المادتين 13 و16، إذ يحقّ للمجلس إحالة قضايا يقرر أنها تهدد الأمن والسلم الدوليين من جهة، ووقف التحقيق والمقاضاة في قضايا أخرى وتأجيلهما، لدواعٍ سلمية وأمنية أيضاً من جهة أخرى.

عدم وجود جهاز تنفيذي تابع للمحكمة لضمان تطبيق أحكامها، يُعتبر إحدى أهم نقاط ضعفها، إذ تعتمد على تعاون الدول لدخول المحققين للأراضي التي يجب التحقيق فيها، والحصول على الوثائق والأدلّة والتفتيش عن المشتبه بهم وإلقاء القبض عليهم وتسليمهم لها.

رغم أن النظام الأساسي للمحكمة يلزم إلزام الدول الأطراف التعاونَ مع المحكمة فيما تجريه من تحقيقات (المادة 86)، فإنه لا ينصّ على إجراءاتَ عقابية في حال رفض الدولة التعاون، وأقصى ما يمكن للمحكمة أن تذهب إليه هو أن تحيل الموضوع إلى جمعية الدول الأطراف، أو إلى مجلس الأمن الدولي إذا كان قد أحال المسألة إلى المحكمة.

لذلك فانه على الرغم من أهمية عضوية دولة فلسطين في المحكمة الجنائية الدولية فلا نتوقع مثول مجرمي الكيان الصهيوني في غزة أمامها إلا بتوافق دولي، وهو أمر بعيد المنال.

مـــا الـــذي أُريـــد!

حسين آل ربيع

ما الذي أريد! هل أطمح في أن يتحقق العدل فعلاً وحقيقةً في العالم من شرقه الى غربه ومن شماله الى جنوبه؟ ثم ما العدل؟ أمِن العدل أن يتحقق السلام والرخاء في العالم كُله؟ بالنسبة لي ومن خلال التجارب التاريخية والبحث والأحداث التي مرت حسمت أمر هذه التساؤلا منذ زمن، أن يتحقق العدل في العالم كله هو حلم أو بالأحرى وهمٌ طوباوي لذيذ نتمناه ولايحدث. جميلٌ هو التمني أخفُّ من الإرادة وأكثر رشاقةً من الحقيقة، يجعلنا نتمسك بفكرةِ أن المسحتيل ممكن.

في صباح يومِ السبتِ المجيد السابع من تشرين الأول/أكتوبر 2023 شنّت المقاومة في غزة هجوماً مباغتاً على قواة الإحتلال ما كبد الإحتلال خسائر جسيمة جداً، كسرت غرور المحتل ومرغت أنفه في التراب. جن جنون العدو وصب جامّ حقده على المدنيين المحاصرين في قطاع غزة، لتنقل وسائل الإعلام بعدها مقاطع توثق بشاعة الإحتلال ومجازره المروّعة، أشلاء أطفال ممزّقة، أحياء مهدمة بكاملها، قتل، تجويع، تهجير...دمٌ يسيل في كل أرجاء القِطاع.

كنت أتردد في القبول بفكرة تحقق العدل في هذا العالم، أحاول إعادة القراءة مرةً وأخرى والملاحظة والمقارنة بين الوقع والفكرة. أما اليوم فقد صرت واثقاً الى حد كبير من أن العدل في العالم لن يتحقق بالشكل الذي نتخيلة، فالعدل ـ إن صح التعبير ـ سيظل نسبي وفقاً لطبيعة البشر التي تتقلب بين الخير والشر والتضارب الحاد والمتفاوت بين المفاهيم الإنسانية والأيديولوجيات الخلاصية.

فالننظر قليلاً الى الغرب (الولايات المتحدة وأوروبا) ودوله الديموقراطية التي تنادي بالحرية على الدوام وتتبجح بالدفاع عن حقوق الإنسان والحقوق والمساواة والعدالة، تجدها اليوم تدعم وتساند العدوان على غزة بكامل أدواتها التكنلوجية والإعلامية وقوتها الإقتصدية، تستطف بكامل ثقلها ضد حقوق الإنسان ضد الذين يتعرضون للإبادة والتنكيل على مدار الساعة. إن الغرب لايزال مهجوساً بعقدة الرجل الأبيض الى اليوم وحتى إشعار آخر، يخبىء عنصريته ووحشيته خلف شعارات الحرية والمساواة وحقوق الإنسان والإلتزام بالقانون الدولي بينما هو بكل دوله ـ وعلى رأسهم أمريكا ـ أبعد مايكون عن الإنسانية في تعامله مع الشعوب الأخرى. على الرغم من المدنية الغربية ومستوى التحضر والحرية الذي وصلوا إليه إلا أنهم وفي قرارة أنفسهم ولاشعورهم الجمعي مؤمنون بأنهم شعب الله المختار والعِرق الأسمى والإنسان الأعلى هم البشر وماعداهم مجرد كائنات حية أشبه بالبشر بل حيوانات في الكثير من المواضع، ذلك مايعكسه سلوكهم في التعامل مع القضايا الإنسانية هنا وهناك وتصريحاتهم وإعلامهم.

يحاول الإعلام الغربي اليوم في ظل الحرب على غزة تشويه صوة العرب ـ وهي حرب عمد الغرب على شنها ضد الهُويات المختلفة عنه منذ سنين ـ والفلسطينيين على الخصوص والترويج للسردية الصهيونية على الدوام، لم لا فهي صنيعتهم، في المقابل يحاول إعلامهم جاهداً إلغاء الهوية والحق الفلسطيني وتجاوزه، لا مبادئ أخلاقية ولاحقوق إنسان هنا كل ما هنالك إلغاء وسُخرية. دأبَ الغرب على إظهار الفلسطينيين بأنهم مجتمع بدوي وأنهم برابرة وحشيون متخلفون، بينما البرابرة في واقع الأمر هم من الغُزاة الساديين الذين يرتكبون المجازر في الليل وفي وضح النهار وهم يتضاحكون، يقتلون الأطفال بدم بارد ويهجرون المدنيين العزل الآن وفي كل وقت في انتهاك صارخ للقيم الأخلاقية والقوانين الدولية والإنسانية، مع ذلك لانجد الإعلام الغربي والدول الدموقراطية تدين تلك الجرائم بل تباركها وتطالب الكيان الصهيوني بالمزيد، مثلما طالب الرئيس الفرنسي الكيان الصهيوني بالشدة والقسوة في التعامل مع غزة.

إذا كنتُ قد تبنيتُ فكرة استحالة تحقق العدل في هذا العالم ونظامه المقيت، إلا أنني متمسكٌ بأن ظهور الحقيقة وتجليها ممكنٌ جداً. منذ 75 عام على قيام دولة الإحتلال والشعب الفلسطيني يعاني من مجازر الإبادة الجماعية و الفصل العنصري والتهجير والإستبداد والتنكيل والقهر والإذلال والحصار، ورغم تواطؤ معظم دول العالم مع المحتل لإخفاء الحقيقة والإلتفاف عليها وتغيير شكلها، والحقيقة تأبى إلا أن تظهر ناصعة ساطعة مثل الشمس في وضح النهار تتسرب من خلفهم ومن بين أيديهم ومن فوق رؤوسهم. من يمكنه اليوم إخفاء مايرتكبه الإحتلال من مجازر؟

إن دفاع الفلسطينيين عن أنفسهم في ظل تخاذل العالم حقٌ مشروع ومن يرى الحقيقة بكلتا عينيه ومن يرفع من منسوب إنسانيته يعي ذلك. إن القضية الفلسطينية ليست مجرد قضية دينية أو عِرقية أو قومية، هي القضية الأخلاقية الكبرى في زمان الناس هذا والتي لايستطيع أي إنسان حر تجاوزها، تماماً كما قال تشي جيفارا: "إن مقاومة الظلم لايحددها عِرق أو دين أو مذهب، بل تحددها طبيعة النفس البشرية التي تأبى الإستعباد وتسعى للحرية". وفي ظل الإنحدار الأخلاقي الكبير للعالم تقول المنظومة الغربية أن من حق الكيان الصهيوني الغاصب بآلته الإجرامية الدفاع عن نفسه! كيف لقوة غاشمة مدججة بكل الأسلحة المتطورة أن تدافع عن نفسها من مقاومة صغيرة تحاول استرداد أرضها وحقها، وناسٌ محاصرون بالكامل في سجنٍ هو الأكبر في العالم، في المقابل لايحق للمقاومة الدفاع عن نفسها وكرامتها وبقاء شعبِها الأصيل في هذه الأرض منذ آلاف السنين! أي نظام عالمي هذا وأي قيم أخلاقية هذه! الحق حق واضح ظاهر شاء العالم أو أبى.

لايجوز منطقياً التعاطف مع السفاح والضحية في الوقت نفسه وإلا وقعنا في خطأ اجتماع النقيضين. شهامة وصمود وعنفوان الفلسطيني يعري زيف ادعئات الغرب والشرق والعالم القمئ بأسره ويُظهر الحقيقة دائماً، توقه الدائم للحرية تمسّكه بأرضه بجذع زيتونه تُظهر الحقيقة دائماً أمام أعين العالم،الآن ظهرت حقيقة القضية الفلسطينية في الغرب صدقها الكثير من شعوبهم رغم كذب السلطة الإعلامية وادعائاتها الباطلة وهي ضربة موجعة أخرى في جسد الكيان المهترئ، وهو اليوم ينهار وينتهى وجوده كفكرة أكثر من أي وقت مضى....

الغرب والكيل بمكيالين

الكيل بمكيالين هو مفهوم سياسي يشير إلى أي مجموعة من المبادئ التي تتضمن أحكامًا مختلفة لمجموعة من الناس بالمقارنة مع مجموعة أخرى. والكيل بمكيالين مبادئ يُنظر إليها على أنها مقبولة لاستخدامها من قبل مجموعة من الناس، ولكنها تُعتبر غير مقبولة ومن المحرمات، عندما تُستخدم من قبل مجموعة أخرى. سياسة الكيل بمكيالين، يمكن وصفها بأنها نوع من التحيز وظالمة لأنها تنتهك مقولة أساسية في الفقه القانوني الحديث: أن جميع الأطراف يجب أن تقف على قدم المساواة أمام القانون.

جلال إبراهيم

المعايير المزدوجة فيما يخص القضية الفلسطينية ليس بالأمر الجديد، إذ بدأت معالمها منذ النكبة، وصولاً إلى طوفان الأقصى. إن حقوق الإنسان أصبحت أكذوبة مخادعة، لأنها دائمًا ما تكون لصالح أناس دون أُناس من الغربيين وإخوانهم الصهاينة، أما إن كانت الدعاوى ضد العرب وضد ما يسمونه بدول العالم الثالث فإنها ستقام عليهم، وتنصب لأجلهم المحاكم، وسيتم القبض على المتهمين منهم بالقوة، ويعتبرون ملاحقتهم ومطاردتهم واجبًا إنسانيًا.

العملية العظيمة «طوفان الأقصى» التي هزت الكيان الصهيوني وكبدته خسائر كبيرة في الممتلكات والأرواح، وقعت بعد سنوات من الحصار الاقتصادي والسياسي، والانتهاكات الوحشية اليومية لأهل غزة والمسجد الأقصى، يقابل ذلك صمت مريب للمجتمع الدولي، أو تأييد صريح من الولايات المتحدة الأمريكية والغرب الأوروبي لدولة الكيان الصهيوني.

ولأن عملية طوفان الأقصى أصابت العدو الصهيوني في مقتل، أتت تصريحات مسؤوليه منفلته ومرتبكة، بدأً من رئيس الحكومة نتنياهو الذي قال بأن «يوم السابع من أكتوبر سيبقى يوم أسود في تاريخ الشعوب والأفظع للشعب اليهودي منذ المحرقة النازية».

أما وزير الدفاع غالانت فقد وصف حركة حماس وقادتها «بداعش» وأمر بمنع الطعام والماء وقطع الكهرباء عن غزة بأكملها. والحقيقة أن وصف حماس التي تدافع عن أرضها وشعبها «بداعش» أو تشبيه عملية «طوفان الأقصى» بالمحرقة التي قام بها النازيون بحق اليهود، لهو إفلاس سياسي وانحطاط أخلاقي بائس.

ومن المثير للسخرية ما صرح بهِ وزير الخارجية الأمريكي في مؤتمر صحافي مشترك مع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، قال بلينكن: «أنا ممتن لأن أكون هنا في إسرائيل، أتحدث بشكل شخصي، وأتيت كيهودي»، مكرراً الإدعاء بأن «حماس قامت بذبح الأطفال وحرقهم». وهذه «النكتة» السخيفة أكدها الرئيس الأمريكي بايدن بنفسه. ولأنها نكتة واتهام باطل، لم يتعاطى معها الإعلام العالمي، بما فيه الإعلام الأوروبي الغربي والأمريكي الذي مارس ‹‹الفزعة›› السياسية والإعلامية في صالح «إسرائيل» وهي بلا شك «فزعة» خالية من كل مضمون أخلاقي وسياسي، لأن المواقف المبدئية لا تخضع لمنطق الكيل بمكيالين.

وما تشبيه 7 أكتوبر ب 11 سبتمبر 2001 إلا مجرد أكذوبة جديدة لأمريكا، و «بروباغندا» ليست غريبة على البيت الأبيض، ولهي وصمة عار جديدة ترتكبها، كوصمات عارها الكثيرة التي تعود لتعتذر عنها بعد عشرات السنين!

ويجب الإشادة هنا بالموقف الروسي، وبمتحدثهِ السيد فاسيلي نيبينزيا، المندوب الروسي بمجلس الأمن، الذي قال بأن «واشنطن تروج الأكاذيب دعمًا لإسرائيل ضد الفلسطينيين دون إيجاد حل، والقصف العشوائي للمناطق السكنية في غزة أمر غير مقبول».

في زمن التطور الهائل في أدوات الاتصال والإعلام وتوثيق الأحداث والانتهاكات لحقوق الإنسان بالصوت والصورة، لم يعد يُجدي ممارسة الكذب وتزييف الحقائق في هذا العالم الذي يوصف بالقرية الصغيرة. الحقيقة التي يعرفها العالم أجمع هي أن «إسرائيل» كيان غاصب ومحتل لفلسطين، وتقصف المدنيين في غزة، وتقتل الأطفال والنساء والشباب والشيوخ، بوحشية لا يمكن وصفها.

لذلك على مختلف الشعوب حول العالم، وبالتحديد في أوروبا وأمريكا الشمالية، عليهم أن يصدقوا واحدة من اثنتين ليعرفوا الحقيقة ويكونوا بشراً، إما إعلامكم ومسؤولونكم، أو أعينكم وضمائركم!

أأنتَ هو مكدّرُ إسرائيل؟

حول فلسطين وطوفان الأقصى

هشام عقيل

القضيّة الفلسطينيّة والقضيّة الصهيونيّة

يحدث أنّنا نعيشُ في وسط أحداثٍ غرضها أن تختبرَ قُدرة النكوصيّينَ على التعامل مع الواقع. فقد فشل قسمٌ منهم في اختيار أوكرانيا، واختاروا الفرعون شيشينبينغ وهامانه بوتين وهلّلوا "هوشعنا يشوعنا" كُلّما ظهرا بكلمة متلفزة أو بإعلان حزبيّ كُتب بكسل لا مثيل له. والآنَ يفشلونَ ثانية في اختبار فلسطين، ليسَ لأنّهم اختاروا موقفاً خاطئاً، بل حسناً فعلوا في الوقوف مع الحقّ المطلق للشعب الفلسطينيّ ضد الصهيونيّة، وإنّما لأنّهم لا يعرفونَ لمَ اختاروا موقفاً صحيحاً، ولا يعرفونَ ماذا يصنعونَ بأنفسهم ولا بأقوالهم.

يا أيّها النكوصيّون، أراكم مضطربينَ ولا تستطيعونَ أن تُخرجوا أنفسكم من العقد اللغويّة والمفهوميّة التي عقدتم أنفسكم بها. فتراةٌ تقولونَ للفلسطينيّينَ إنّ قضيتهم قوميّةٌ عربيّة، وتارةٌ تقولونَ إنّها إنسانيّة، وأخرى تقولونَ إنّها ثوريّة، وغيرها من التوصيفات المجانيّة التي تقدّمونها. ولمّا كنتم، رغم كُلّ هذا الاضطراب، لا تؤثّرون على النظرة التي يرى عبرها الفلسطينيّونَ أنفسهم (بطبيعة الحال)، فإنّكم، في حقيقة الأمر، تحدّثونَ أنفسكم فقط، إذ تحاولونَ إقناع أنفسكم (قبل أيّ شخص آخر) بأيّة نظرة عليكم تبنّيها، وبأيّ موقف عليكم أن تتّخذوه؛ وبالتالي تبنونَ مواقفكم من القضيّة ككُلّ على توصيفات أخلاقيّة فحسب.

مع ذلك، يبقى الموقفُ النكوصيّ اليوم من القضيّة الفلسطينيّة، بفضل عقود من الإيمان الراسخ والمتواتر، أفضل من الموقف الليبراليّ (الذي تبنّاهُ بعض النكوصيّينَ الليبراليّين) المتغنّج الداعي إلى شعارات مدلّلة وناعمة مثل "السلام"، و"المحبّة"، و"التعايش السلميّ بينَ البلدين"، متجاهلاً حقيقة الحرب الصهيونيّة على الشعب الفلسطينيّ.

تختلف القضيّةُ الفلسطينيّةُ اليوم، من ناحية طبيعتها، عن الأمس، ولمّا كانت فلسطينُ بؤرة التحرّر الوطنيّ في الشرق الأوسط، فإنّها اليوم قضيّةٌ وطنيّةٌ هدفها تحرير الشعب الفلسطينيّ من الإبادة الصهيونيّة التي تُمارس عليه على نحو ممنهج، وبالتالي أنّها قضيّةٌ وطنيّةٌ هدفها إقامة دولة قوميّة للشعب الفلسطينيّ.

وعلى ماذا تقومُ القضيّةُ الصهيونيّةُ بالتحديد؟ سأدع هرتزل يُجيب عَني: «إذا أردنا أن نبني دولةً اليوم، فعلينا أن نقومَ بذلك عبر وسائلَ تختلف عن تلكَ الوسائل المتاحة لنا قبل ألف عام. وسيكون المرءُ غبيّاً إن اعتقدَ أنّه من الممكن أن نعودَ إلى الحقب الحضاريّة القديمة، كما يُطالب بعض الصهاينة. افترضوا، على سبيل المثال، أنّنا أردنا أن نُخلي أرضاً من الحيوانات المتوحّشة، فلن يكون من الممكن أن نستعمل الوسائل العائدة لأوروبا القرن الخامس، حيث كُلّ منا يأخذ رمحاً ويصطاد به الدبّةَ على نحوٍ فرديّ. على العكس، سيكون علينا أن ننظّمَ فرقة صيادينَ كثيرة العدد، وبها نلحقُ تلكَ الحيوانات ونجمّعها جميعها في مكانٍ واحد، وبعدها نُلقي عليهم متفجّرات الميلانيت».

إنّ وصفَ العرب بالـ "الحيوانات" هو أمرٌ طبيعيّ في القاموس الصهيونيّ كما أثبت لنا يوآف غالانت مؤخّراً، ولعلّ هرتزل لم يرَ أنّ فلسطينَ (أو الأرجنتين، أو غيرها من البلدان التي كان يطمح إلى إقامة دولته فيها) مسكونةٌ بالبشر لأنّه يفترض إبادتهم سلفاً، أو في أفضل الأحوال: طردهم عبر إبادة بعض منهم. القضيّة الصهيونيّة قائمةٌ على بناء دولة قوميّة لليهود على حساب تجريد الفلسطينيّينَ من دولتهم القوميّة، وبالتالي أنّها ليست قضيّة بناء دولة قوميّة للشعب اليهوديّ فحسب (وهذا أمرٌ لا يمانع عليه أحد، ورأينا أمثلةً على ذلك في التجربة السوفيتيّة مع المقاطعة اليهوديّة المستقلّة)، وإنّما بناء تلك الدولةَ عبر تجريد قوم آخرَ من دولتهم القوميّة. إنّ الفكرةَ وراء التحرّر القوميّ هوَ هو التحرّر، وليس استعباد أمّة أخرى، إذ معها تنتفي فكرة التحرّر من الأساس.

أعلمُ جيّداً ما سيقولهُ المتغنّجونَ الليبراليّونَ الضعفاء: «ألا يُمكن لدولة يهوديّة أن تُعيشَ بسلام مع، وجنباً بجنب، دولة عربيّة فلسطينيّة؟»، نعم هذا أحد الممكنات بشرط ألّا تكونَ هذه الدولة اليهوديّة دولةً صهيونيّة، أي إنّ هذا القرارَ يجب أن يتّخذه الشعب الفلسطينيّ، بمسلميه وبيهوده، بعد التحرّر من الصهيونيّة كُلّيّاً. مَن يؤمنُ بأنّه من الممكن أن تتعايشَ الصهيونيّةُ بسلام، وجنباً بجنب، مع فلسطين لا يفقهُ في السياسة شيئاً. كيف يُمكن لهما أن يتعايشا إن كانت الفكرةُ الصهيونيّة نفسها، القضيّة الصهيونيّة نفسها، قائمةً على تجريد الفلسطينيّينَ من أراضيهم؟

فمنذُ 1967، ساهمت "إسرائيلُ" مباشرةً في عرقلة الوحدة السياسيّة والاقتصاديّة للبورجوازيّة الفلسطينيّة، وبالتالي البورجوازيّة الفلسطينيّة غير قادرة على التبلوّر كُلّيّاً، بل هي غير قادرة على النمو والتطوّر كُلّيّاً، ليس لأسباب بنيويّة مانعة، وإنّما لأسباب تتّصلُ مباشرةً بوجود إسرائيلَ كعامل معرّقل لتطوّرها. بالتّالي، البورجوازيّة الفلسطينيّة غير قادرة على تحقيق الوحدة السياسيّة لأنّها غير قادرة على تحقيق الوحدة الاقتصاديّة، وهذه غير ممكنة من دون تلك، وتلك من دون هذه. لهذا السبب جزئيّاً، نجدها غير قادرة اليوم على

قيادةِ صراعٍ موحّد. في الوقت ذاته، لا نجد أنّ المنظّمات الشعبيّة الفلسطينيّة موحّدةٌ بطريقةٍ يُمكن أن تشكّل عبرها بديلاً لهيمنةِ البورجوازيّة الفلسطينيّة عليها. طالما تهيمن البورجوازيّة الفلسطينيّة على الحركة التحرّريّة الفلسطينيّة، ستكون دائماً النتيجةُ حرّيّةً نصفيّة للشعبِ الفلسطينيّ. وحدها التآلفيّة ستُعطي الشعب الفلسطينيّ حرّيّته الكاملة، ولكن ذلكَ لهو هدف التآلفيّينَ القصويّ، أمّا اليوم، عمليّاً، لا يُمكن للتآلفيّة إلّا أن تقفَ مع مطالبَ الشعب الفلسطينيّ في نيلِ الحرّيّة الكاملة والمطلقة؛ هذه هي القضيّة اليوم، وهذه الحلقة الحاسمة في فلسطينَ اليوم. فثلاثُ ويلاتٍ لاشتراكيّ يفشل في دعم القضيّة الفلسطينيّة، وثلاثُ ويلاتٍ لاشتراكيّ يزعم أنّه لن يدعم القضيّة إلّا حينَ تصبحُ اشتراكيّة، وثلاث ويلاتٍ لمَن يدعم وهو أعمى.

طبيعة المقاومة الفلسطينيّة منذ طوفان الأقصى

في السابع من أكتوبر شنّت منظّمة (حماس) عمليّةً هجوميّةً فجائيّة غير مسبوقة، سمّيت بعمليّةِ (طوفان الأقصى)، على الاحتلالِ الصهيونيّ. يعدّ هذا الهجوم الأكثر قوّة، وتأثيراً، وشراسةً في تاريخِ المقاومةِ الفلسطينيّة للمحتلّ الإسرائيليّ. بين ليلةٍ وضحاها، انقسم العالم إلى نصفين، واسقطت الأقنعة من على وجوهِ الإمبرياليّين، وظهرَ نفاقهم على الملأ في العالم كُلّه. فلم يحاولوا أن يجتهدوا في ابتداعِ مبرّرٍ أخلاقيّ، أو منظورٍ سياسيّ، لمساندة دعمهمَ الأعمى لإبادةِ الشعب الفلسطينيّ. وظهرَ الفلسطينيّونَ كشعبٍ لا يقبل أن يُباد من دونِ مقاومة.

كُلّ هجومٍ فلسطينيّ على "إسرائيلَ" هو – في حقيقةِ الأمر – تعبيرٌ عن حربٍ دفاعيّة، وهو –بالتالي– مشروع، وكُلّ "دفاعٍ" (بمعنى ردّة الفعل) إسرائيليّ هو – في حقيقة الأمر – حربٌ عدائيّة. بكلماتٍ أخرى، إنّ طبيعةَ الاستراتيجيّة التكتيكيّة لا تُغيّر طبيعة الحرب نفسها. فحقيقة أنّ حنبعلَ اعتدى على روما، أي تبنّى تكتيكاً هجوميّاً، لا يعني أنّ حربه كانت حرباً عدائيّة، وحقيقة أنّ فابيوس ماكسيموس تبنّى تكتيكاً دفاعيّاً لا يعني أنّ روما قادت حرباً دفاعيّة ضد قرطاج. لذا الموقف التآلفيّ من القضيّة الفلسطينيّة هو: من حقّ الفلسطينيّينَ أن يُدافعوا عن أنفسهم بأيّةِ وسيلة ممّكنة. تقومُ الصهيونيّة، كما بيّن هرتزل، على مبدأ واحد: حربٌ مفتوحةٌ دائماً على الشعب الفلسطينيّ، وبالتالي لا يُمكن أن تقودَ إسرائيلُ حرباً دفاعيّة أبداً، وإنّما وجودها – بحدّ ذاته – هو هو حربٌ عدائيّة.

بالتالي، حين يطالبُ الغربُ بإدانةِ حماس، مثلاً، فإنّه

يقوم بذلكَ كخدعة شبيهة بلغز أبي الهول، وعلينا أن لا نُخضع لمنطق الخدعة التي يدعوا إليها الإمبرياليّون. فلا يُمكن لأحدٍ أن يُدين أيّ طرف فلسطينيّ، إذ حربهم حربٌ دفاعيّة؛ مَن لا يقرّ بذلكَ لا يفهمُ شيئاً من الحاصل. ولمّا قلنا إنّ للفلسطينيّينَ حقّاً في الدفاع عن أنفسهم، فإنّنا نعني أنّنا نؤمنُ أنّ لكُلّ طرف تأييداً عسكريّاً في حدود الدفاع الذاتيّ الفلسطينيّ فقط. لكن ذهبَ بعض النكوصيّينَ في إعطاءِ التأييدِ السياسيّ المطلق لكُلّ الحركات المقاومة لإسرائيل. فمن ناحية التأييد العسكريّ لم يخطأ النكوصيّون، وأمّا من ناحيةِ التأييد السياسيّ فهم مخطئونَ تماماً. سأضرب مثالاً على خطورةِ هذا الخطأ: في الجبهة الشماليّة، أي شمال فلسطين المحتلّة وجنوب لبنان، يقود حزب الله مقاومةً ضد الإسرائيليّين، وبالتالي التأييد العسكريّ ضروريّ في هذه الحالة. لكن أيعني ذلكَ دعماً سياسيّاً وآيديولوجيّاً له كذلك؟ لنتخيّل أنّ انتفاضةً ستشتعل

في لبنان (كانتفاضة تشرين 2019) في المستقبل، ووقف حزب الله في وجهها كما قامَ في الماضي، ماذا ستصنعونَ من هذا الدعم السياسيّ والآيديولوجيّ؟ إنّ الدعم السياسيّ والآيديولوجيّ هما دائماً مطلقان، في حين الدعم العسكريّ والدعم التحالفيّ هما دائماً شرطيّان.

ظلّ قادة القسّام ينادونَ الفصائلَ المقاومةَ الأخرى لمشاركتها، في الثامن من أكتوبر تحديداً، من دون أن يؤدّي ذلكَ إلى النتيجة المرجوّة؛ رغم مشاركة حركة الجهاد الإسلاميّ، وكتائب شهداء الأقصى، والجبهة الديموقراطيّة لتحرير فلسطين في غزّة، ومشاركة حزب الله في جنوب لبنان. كما هدّد رئيس منظمة بدر في العراق، في التاسع من أكتوبر، الولايات المتحدّة الأمريكيّة بالهجوم على قوّاتها إن تدخّلت في الشأن الفلسطينيّ؛ وشاركَت هذا التهديد كتائب سيّد الشهداء، وجماعة أصحاب الكهف، وعصائب أهل الحقّ، وكتائب حزب الله. كذلكَ قامت قوّات نسور الزوبعة السوريّة بتقديم دعمها للمقاومة الفلسطينيّة في التاسع من أكتوبر. لكن كان الردّ الإيرانيّ هو المحسوب، والمنتظر عمليّاً، بدلاً من تلكَ المنظّمات التابعة لها (التي لم تكن ستقوم بكُلّ ذلكَ من دون مباركتها)، ولكن اكتفى الإيرانيّونَ بتقديم الدعم الدبلوماسيّ للمقاومة وبنفي تدخّلهم في هجمة السابع من أكتوبر، إذ قالَ علي شمخاني (المستشار السياسيّ لآية الله علي خامنئي): «إنّ القرارات التي اتّخذتها المقاومةُ الفلسطينيّةُ مستقلةٌ بالكامل (...) نحن نقفُ بشكل قاطع في دعمنا الثابت لفلسطين؛ ولكننا لا نشارك في الرد الفلسطينيّ».

في الضفّة الغربيّة قادت مجموعات (عرين الأسود) مَن استطاعت تحريكهم للتظاهر، واشتبكوا بالقوّات المحتلّة في رام الله، ونابلس، والخليل. لكننا لم نرَ ائتلافاً، وتنسيقاً، موحّداً بينَ مجمل حركات ومنظمّات الضفّة الغربيّة وغزةَ في المقاومة العسكريّة والسياسيّة، والذي سبّب في عرقلة الهدف العسكريّ لحماس، إذ لتحقيق هذا الهدف العسكريّ من الضروريّ أن يتوفّرَ شرطان: الأوّل، الوحدة السياسيّة والعسكريّة لجميع الحركات المقاومة الفلسطينيّة (ممّا يستدّعي مشاركةَ منظمة التحرير الفلسطينيّة على نحو فعّال كذلك). الثاني، الظروف الإقليميّة العسكريّة والسياسيّة المساندة. لحدّ الآن، نحن نعلمُ أنّ إيرانَ أعلنت أنّها ستتدخّل في الحرب فقط في حال قامت إسرائيلُ بتوجيه ضربة مباشرة لطهران، وأنّها ستدعو المنظمّات الموالية لها ضرب قواعد الولايات المتّحدة الأمريكيّة في سوريا والعراق إن قامت الولايات المتّحدة بتجميد الأموال الإيرانيّة في الخارج. ونعلمُ أنّ حزبَ الله أعلن أنّه سيتدخّل في حال نفذّت إسرائيلُ الهجوم البريّ المرتقب داخل غزة. أمّا المنظمّات المذكورة الأخرى، في العراق واليمن، فإنّها أعلنت تدخّلها في حالِ تدخّل الولايات المتحدّة في الحرب. بعدَ أن قصفت إسرائيلُ موقعاً قرب المستشفى الأهليّ المعمدانيّ، والذي أدّى إلى تدميره، في 17 أكتوبر، والذي أنكرتهُ إسرائيل ومعها حلفاؤها الغربيّون، ازدادت وتيرةُ الاشتباكات بينَ الفلسطينيّينَ والإسرائيليّينَ في الضفّة الغربيّة؛ ممّا أيقظ آمال حماس وحزب الله في توحيدِ الحركة المقاومة بينَ غزّةَ والضفة والغربيّة، لكن لم يتحقّق ذلكَ بعد.

ولمّا لم تتوفّر تلك الظروف الضروريّة والملحّة بالسرعة المطلوبة، وحقيقة أنّها لم تتوفّر بهذه السرعة تعني أنّ ثمّةَ شكّاً في القدرة على التدخّل، بدأ زخم الهجوم الفلسطينيّ أن يتراجعَ بالنسبة إلى ما كان عليه في البداية، وأخذت الهجمات تأخذ شكلاً غير مباشر وعبر الدرونات، ولا ندري ما إذا كانت الأرقامُ الإسرائيليّة هي صحيحةٌ أو مضلّلة (كالعادة)، ولكنها تزعم بأنّ منظمّة حماس وحركة الجهاد الإسلاميّ فقدتا ما يقارب 33٪ من مدافعها الصاروخيّة في 13 أكتوبر. وكضربة استباقيّة قام جيش الدفاع الإسرائيليّ بتوجيه ضربات جوّيّة على مطاريّ دمشق وحلب، وبالتحديد مدرّجاتهما، ممّا دَفَعَ طائرة ماهان إلى العودة إلى إيران.

لم تعد إسرائيلُ مجرّد «كلب حراسة» للإمبرياليّة كما كانت في السابق، أي راعيَة الثورة المضادة لحركة التّحرّر الوطنيّ في الشرق الأوسط، وإنّما هي اليوم أحد البلدان الكولونياليّة المهيّمنة إقليميّاً. في حين تسعى إيرانُ أن تكونَ مهيّمنةً إقليميّاً بدلاً من بقائها كمهيّمنة محليّاً فحسب، وذلكَ بفعل طبيعة رأس المال الكولونياليّ الإيرانيّ نفسه. وبالتالي، مصلحة إسرائيل تكمن في الحفاظ على مكانتها المهيّمنة إقليميّاً، في حين مصلحة إيران تكمن في الارتقاء لهذه المكانة في الشرق الأوسط والتنازع مع إسرائيل عليها، ولذا أنّها بحاجة ماسة للسلاح النوويّ لتحقيق ذلك، في حين، تقفُ إسرائيل كالعائق الأساسيّ لإتمام هذه النقلة. ومعَ سلسلة التطبيع في العالم العربيّ، بدأت إسرائيلُ تهدّد طبيعة الهيّمنة المحليّة الإيرانيّة نفسها. لهذا السبب، سيكون علينا أن لا نُسقط في الخطأ الذي يُسقط فيه المحلّلونَ والسياسيّونَ المتسّرعون، حيث يوازونَ بينَ مصالحَ حماس وإيران كما لو كانت مصلحةً متماثلة. فإنّ هدف حماس، مثلَ كُلّ حركة فلسطينيّة أخرى، هو تحرير فلسطين من الصهيونيّة، أي بناء دولة قوميّة للشعب الفلسطينيّ، (بغض النظر عن الشكل السياسيّ الذي تطمح حماس، بأوهامها البورجوازيّة الصغيرة، بتشييده). في حين، مصلحة إيرانَ في القضيّة الفلسطينيّة، أي مصلحتها الإستراتيجيّة، تختلفُ عن ذلك، إذ إنّ هدفها القصويّ هو إزالة إسرائيل كعائق عليها (عبر الإخضاع أو اتفاقيّة عظمى)، وهدفها الأدنويّ هو عرقلة كُلّ المحاولات التي ستعزّز بها إسرائيل قوّتها في الشرق الأوسط عبر التحالفِ مع البلدان الكولونياليّة العربيّة المهيّمنة. بالتالي، إذا تمكّنت إيرانُ من عرقلة أيّ انفتاح دبلوماسيّ بينَ إسرائيل، مثلاً، والمملّكة العربيّة السعوديّة، فإنّها ستعتبر ذلكَ انتصاراً أدنويّاً، لأنّها – عبر ذلكَ – قد عطّلت شيئاً من وجود إسرائيل في الشرق الأوسط؛ ممّا يسمح لإيرانَ أن تبقى لاعباً مهمّاً في المنطقة. هذا يعني أنّ إقامةَ الدولة القوميّة للشعب الفلسطينيّ هي من مصلحة الإيرانيّينَ في حدود أن تحقّق إقامتها مصالحها المهيّمنة، ممّا يعني – كذلك – أنّه من الممكن تحقيق مصالح إيران في المنطقة من دونِ إقامة الدولة القوميّة هذه.

إنّ الهدف العسكريّ لمنظمة حماس هو أكثرُ تشوّشاً، لأنّه أكثر تجريداً واعتماداً على عوامل خارجة عن مقدرتها التنظيميّة، مقارنةً بالهدف العسكريّ الإسرائيليّ، إذ وَضَعَ الإسرائيليّونَ لأنفسهم هدفاً عسكريّاً محدّداً: تجريد منظّمة حماس من السلاح وإضعافها. في حين، وضعت منظمة حماس هدفاً عاماً: القضاء على إسرائيل كُلّيّاً. لا شيء سيفسّر لنا تسرّع حماس، وتهوّرها، سوى اعتمادها على تدخّل إقليميّ موحّد ضد إسرائيل، أي تدخّل سوريا، وجنوب لبنان، والحوثيّين، وقوّات منظمّة بدر، وإيران. الآنَ لا ندري ما إذا قُدّمت الوعود لحماس من قبل هذه الأطراف أم لا، ولكنّها – بلا شك – اعتمدت على تدخّلها الفوريّ. بالتالي، كان الهدفُ العسكريّ هو توجيه ضربة قوّيّة لإسرائيل من شأنها أن تُشعلَ صراعاً إقليميّاً يضعها في زاوية حرجة. لكن حساباتِ كُلّ هذه الأطراف، مهما اتهمت بالتبعيّة، تختلف عن بعضها الآخر، رغم أنّها متوافقة. فإنّ إمكانيّةَ دخول إيرانَ في مواجهة مباشرة هي موضوعةٌ تحت الاختبار حاليّاً، وبالتالي إمكانيّةَ دخول حزب الله في مواجهة مباشرة هي رهنُ تلكَ الإمكانيّة الأولى. بهذا المعنى، لتحقيق هدف حماس العسكريّ سيكون على ظروف إقليميّة معيّنة أن تكونَ حاضرة، وحضورها هو في محل شك في الوقت الراهن؛ لئلا نتسرّع ونقول إنّه مستحيل أو غير ممكن، كما يقوم بعض المحلّلين المتسرّعين.

ولأنّ حضور تلك العوامل والظروف هو في محل شك في الوقت الراهن، سيُصعّب ذلكَ العمليّةَ العسكريّةَ التي قادتها حماس منذُ السابع من أكتوبر؛ وهذا أمرٌ لا ينتطح عليه عنزان، إذ أخذت حماس مواقعَ دفاعيّة أكثر وأكثر في الأيام الأخيرة. كما اعتمدت حماس وعوّلت على مشاركةَ الضفّة الغربيّة في الصراع، وهذا ما أكّدَ عليه إسماعيل هنيّة في كلمته في التاسع من أكتوبر، إذ شدّد على ضرورة توسّع عمليّة طوفان الأقصى إلى القدس، والضفّة الغربيّة، وفلسطين المحتلّة؛ ولكن لحدّ الآنَ لم تتمكّن العمليّةُ من الاتّساع بالطريقة المرجوّة، وذلكَ لأنّ الهدفَ العسكريّ متمحورَ حولَ ظروفٍ خارجةٍ عن سيطرة حماس نفسها. وهذا

لا ينطبقُ على الهدف القصويّ فحسب، أي تحرير فلسطين بأكملها كما أكّد هنيّة وكتائب القسّام، وإنّما على الهدف الأدنويّ كذلك، إذ لمّا كان هذا الهدفُ الأدنويّ يتمحور حولَ طردِ جيش الدفاع الإسرائيليّ (فرقة غزّة) مِن غزة، فإنّ لتحقيق هذا الهدف لا بدّ مِن تلاحم عسكريّ حقيقيّ بينَ الضفّة الغربيّة وغزة، ولم نرَ حدوث ذلكَ بعد. كما أنّ تحقيق هذا الهدف يعتمدُ على الوضع الداخليّ لإسرائيلَ المحتلّة، أي على التناقضات الداخليّة بينَ الطبقة المسيطرة والخاضعة، وبين أقسام الطبقة المسيطرة، وبين أجهزة الدولة نفسها والجيش، إلخ.

مقارنة بالوضع العسكريّ الإسرائيليّ، نجدُ أنّ للإسرائيليّينَ هدَفاً عسكريّاً أدنويّاً وقصويّاً أكثر تحديداً واعتماداً على مقدراتهم الداخليّة، أي إمّا القضاء كُلّيّاً على حماس (أي نزع السلاح عنها كُلّيّاً) وإمّا إضعافها (أي نزع السلاح عنها جزئيّاً)، وظروف تحقيق هذا الهدف يعتمد على الجاهزيّة الأمنيّة والعسكريّة الإسرائيليّة في المقام الأوّل. لهذا السبب تحديداً ضَرَبَ جيش الدفاع الإسرائيليّ مواقعَ مختلفة في سوريا ولبنان على نحو استباقيّ (كمطاريّ حلب ودمشق، ثلاث مرّات) لقطعِ إمدادات الأسلحة الضروريّة للمقاومة الفلسطينيّة، وَذلكَ لكي يسهّلوا على أنفسهم تحقيقَ أهدافهم العسكريّة، مِن دونِ عقبات حقيقيّة.

كما أنّ لتحقّقَ إسرائيلُ أهدافها العسكريّة فلا بدّ أن تمنع، بأيّ طريقة ممكنة، توحيد المقاومة (بالكثافة عينها) بينَ غزّةَ والضفة الغربيّة، ولهذا السبب قامت باعتقال أكثر مِن أربعة مئة فلسطينيّ في الضفّة الغربيّة. وظلّت حماس في الخطّ الصحيح في مناداتها لوحدة المقاومة بينها وبينَ الضفّة الغربيّة، لأنّه مِن الضروريّ أن تتشكّلَ هذه الوحدةُ آيديولوجيّاً وسياسيّاً في أسرع وقت ممكن. وعلى الرغم مِن أنّنا نجدُ هجماتٍ مختلفة مِن كتائب (أبو علي مصطفى) التابعة للجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين، والجبهة الديموقراطيّة لتحرير فلسطين، والجهاد الإسلاميّ، وحماس، إلّا أنّ هذه الهجماتِ الصاروخيّة (وغيرها) ليست متناسقة وموحّدة كما هو المرجو منها أن تكون. ولحدّ الآن تتّبع حزب الله مبدأ إلهاء إسرائيل عن غزة، مِن دونِ فتح جبهة أساسيّة في الجنوب.

يدّعي الإسرائيليّونَ أنّهم لم يجتاحوا غزّةَ بريّاً بعد لدواعٍ «إنسانيّة»، أي لأجلِ أن يتسنّى للغزّاويّينَ أن يُخلوا غزّة في أسرع وقتٍ ممكن، ولكنّنا نعلم أن هذا الإدّعاء باطلٌ ولا أساسَ له. ليس لأنّ الاحتلالَ الإسرائيليّ مارسَ، ويُمارس يومياً، أبشع أنواع الإبادة في حقّ الفلسطينيّينَ والغزّاويّينَ بالتحديد فحسب، بل لأنّ الاجتياح البرّيّ ينطوي على مخاطرَ عدّة ينبغي حسابها بالأوّل، وأهمّها: مخاطر سياسيّة وعسكريّة.

لكي يتمّ الاجتياح لا بدّ مِن حساب ردّة فعل حزب الله، وسوريا، وإيران أوّلاً، وبالتالي سيكون على إسرائيلَ أن تعوّل على الوجود الأمريكيّ لمساندتها في ذلكَ كُلّه (وليس مهمّاً على أيّ هيئة يشارك الأمريكان في هذه الحرب). ثانياً، لكي يتمّ الاجتياح لا بدّ مِن التأكّد مِن استعداديّة جيش الدفاع الإسرائيليّ، إذ مِن أصلِ 600 ألف جنديّ، لا يشكّل منهم الجنود بدوامٍ كامل سوى ستة بالمئة. أمّا المجنّدونَ الإلزاميّونَ فإنّهم يشكّلونَ ما يقارب 140 ألف جنديّ، في حين الباقي يعدّونَ مِن القوّاتِ الاحتياطيّة. ثالثاً، على الإسرائيليّينَ حساب أعدادِ الضحايا في المخيّم الإسرائيليّ وتأثيرها على المكانة السياسيّة لنتينياهو وحزبه (هذا ما تعلمه الإسرائيليّونَ مِن درس 2014). لكنه مِن الواضح أنّ الإسرائيليّينَ سيرحّبونَ بهذه المخاطرة لأجلِ تحقيق أهدافهم العسكريّة بتدمير حماس بأيّ طريقةٍ ممكنة، وفي الوقت نفسه يريدونَ إخلاء غزّةَ مِن أجلِ الإستيلاء على أجزاء منها، وإن لم يكن أكثر مِن ذلكَ لولا الخلاف بينهم وبينَ المصريّينَ حولَ سيناء.

لم يمارس الإسرائيليّونَ إرهابهم بعد، والأيام القادمة ستشهد إرهاباً أسوأ، إذ الإرهاب هو دائماً سبّاق لاجتياحٍ قادم، والفرصة لتنفيذ هذا الاجتياح ما تزال حاضرةً وقائمة، وإنّما تأخيرها هي التي تخفّض مِن معنويّات الإسرائيليّين، إذ إنّ الاجتياحَ لن يكون لتحقيق عمليّة عسكريّة معيّنة، وإنّما لتحقيق هدف إستراتيجيّ كامل، وبالتالي سيكون على الإسرائيليّينَ أن يكونوا مستعدينَ لصراع طويل. لهذا السبب، الوسيلة الوحيدة أمام المقاومة الفلسطينيّة وحلفائها هي تأخير الاجتياح بأيّ ثمنٍ ممكن.

كثيرةٌ هي التحدّيات التي تؤخّر قرار جيش الدفاع الإسرائيليّ في اجتياحِ غزّة، ومنها طبيعة معارك الكرّ والفرّ التي تقودها المقاومةُ الفلسطينيّة وعلى رأسها منظمة حماس، وما على المرءِ سوى أن يُقيس تلكَ التحدّيات بوضع الأنفاق التي بنتها حماس تحت الأرض. كما أنّ الرهائنَ ما يزالونَ يشكّلونَ تحدّيّاً بالنسبة إلى الإسرائيليّين، إذ أن إنقاذهم قضيّةٌ سياسيّةٌ في المقام الأوّل. الأهمّ مِن ذلكَ هو المخاطرة بفتح جبهة في الشمال، أي جنوب لبنان. إذا حقّق الإسرائيليّونَ هدفهم العسكريّ، فإنّ ذلكَ يترك مصير غزّةَ في حالة هائمة: هل ستحاول إسرائيلُ تمديد السلطة الفلسطينيّة في غزّة؟ أو هل ستحاول، وهذا هو الخيار الأسوأ إستراتيجيّاً، أن تحتلَ غزّةَ بنفسها، وتعرّض نفسها لسلسلة مِن معارك غير منتهية؟ وعلى الرغم مِن أنّ المقدرات العسكريّة الإسرائيليّةَ هي أعلى بكَثير مِن حماس، إلّا أنّه سينبغي علينا أن لا نستهين بمقدرات حماس القتاليّة، خصوصاً في الكرّ والفرّ، وسيكون ذلكَ مصدراً للإزعاج بالنسبة إلى الإسرائيليّين؛ ما لم كانت رؤيةُ اليمين الإسرائيليّ ستتحقّق بالقضاء الكامل على المقاومة في غزّة، بالإضافة إلى تهجير السكان الأصليّينَ إلى سيناء. في كُلّ الأحوال، الحلّ الحقيقيّ الوحيد بيد الإسرائيليّينَ هو الاجتياحُ البرّيّ لغزّة، وهو ضروريّ – بالنسبة لهم – مهما كانت المخاطر.

الأيّام القادمة ستبيّن سير العالم نحو تشكيلات جديدة، وكُلّ شيءٍ يُشير نحوَ الانحطاط العمرانيّ في العالم بأكمله. لن استبق الآنَ الأحداث واستبدل التحليلَ الموضوعيّ بالعاطفيّ، ولكنّني سأؤكّدُ أنّ الصهاينةَ لا يتعلّمونَ مِن التاريخ لأنّهم عالقونَ فيه. فالعالق في التاريخ لا يستطيع أن يتجاوزه أبداً، وتراه يكرّر الماضي في الحاضر مِن دونِ أن يعلمَ الفارق بينهما. وأنظروا كيف كانت التوراةُ بأكملها قائمةً على فكرةٍ واحدة: الارتحال، والهجرة، والعبور. نُفي آدمَ مِن الجنّة، وهاجر نوحٌ بفعلِ الطوفان، وهاجرَ إبراهيمُ مِن أور، ونُفي يوسفَ إلى مصر، وهاجر يعقوبُ إلى مصر، وهاجر موسى ببني إسرائيل مِن مصر. وبعدَ أسفار موسى، دارت جميع أسفار التناخ (التوراة، ونبيئيم، وكتوبيم) حولَ الحفاظ على الأرض مِن غضبِ ربّانيّ؛ الغضبُ الذي ظَهَرَ منذ الملك داود، وسليمان، وانعكسَ على حكم رحبعام ويربعام. وحينَ عادا بهم عزرا ونحميا إلى يورشليم ثانيةً مِن بابل، اجتاح الأغريقُ والرومانُ يورشليم ويهودا، إلى أن فقد العبرانيّونَ أرضهم المقدّسة مرّةً أخرى، وانتهت الأسفار المقدّسة القديمة. ومثلَ العبرانيّينَ القدماء، لا يفكّر الإسرائيليّونَ اليوم إلّا بمنطقٍ واحد: الهجرة والتهجير. وأنظروا كيف كرّر التاريخُ نفسه اليوم في الأحداث الأخيرة، ومعَ ذلكَ لم يتعلّموا درساً حقيقيّاً مِن أسفارهم (مع أنّها الكتبُ التاريخيّة الوحيدة في حوزتهم)، ونسوا أنّ يورشليمهم لم تعد مقدّسة، إذ دنّسوها لتكون بابلَ عصرنا. يهجّرونَ ويستعبدونَ الفلسطينيّينَ بالأساليب ذاتها التي هجّر واستعبد بها الطغاةُ بني إسرائيل، وكأنّ بهم يقولونَ: «ذوقوا مرارةَ ما عاناهُ شعبنا على مدى قرونٍ مِن الزمان، وذوقوا مرارةَ العبوديّة، وحينَ يبلغ السيل الزبى، هاجروا إلى سيناءَ كما هاجر إليها آباؤنا، وضيعوا هناكَ أربعينَ عاماً، واختاروا لأنفسكم اسماً جديداً يحمل عارَ الهجرة، كما حملته اساميناً".

لا، أنتم لا تمثّلونَ أسفاركم، ولا أنبيائكم، ولا اليهود أنفسهم، وإنّما أصبحتم مثل أخابَ عابد الأصنام الذي دنّسَ إسرائيلَ وأخذ يتّهم إيليا: "أأنتَ هو مكدرُ إسرائيل؟"، وفلسطينُ – مثل إيليا – تُجيبكم:

لم أكدّر إسرائيل، بل أنتَ وبيت أبيكَ بترككم وصايا الربّ وبسيركَ وراء البَعليم".

السياسة النقدية والمرونة الاقتصادية

حسين الشويخ

الحفاظ على الاستقرار الاقتصادي لا يضمن استدامته. لكن إدارة المرونة، وليس الاستقرار، هي التي تنطوي على عودة الاقتصاد إلى وضعه الطبيعي في كل مرة يواجه فيها صدمة، كما يوضح ماركوس برونيرمير، الأستاذ في جامعة برينستون.عادة ما تتعامل البنوك المركزية مع السياسة النقدية من منظور إدارة المخاطر، والذي يتضمن توقع سيناريوهات مختلفة وكيفية الاستجابة لها للحفاظ على الاستقرار. وفي الوقت نفسه، كقاعدة عامة، لا يهتم المنظمون كثيرًا بتوقعات التنمية المتوسطة أو الأساسية والالتزام بها، بل يهتمون بالنتائج المتوقعة والإجراءات التي يمكن اتخاذها اعتمادًا على الخيار الذي سيتخذه الاقتصاد. وربما حان الوقت لإعادة النظر في هذا النهج، والانتقال من إدارة المخاطر إلى إدارة الاستدامة.

محاضرات البنك الوطني السويسري

يعقد البنك الوطني السويسري سلسلة من المحاضرات الفخرية السنوية المخصصة لذكرى الاقتصادي السويسري كارل برونر منذ عام 2016. ومنذ ذلك الحين، كان المتحدثون من بعض الاقتصاديين الأكثر تأثيرًا في العالم – كينيث روجوف ، كارمن راينهارت، أوتمار إيسينج، راجورام راجان، فالاستقرار لا يضمن الاستدامة. وحتى على العكس من ذلك، فإنه يعيق ذلك.

في المواد القوية يوجد مصطلح «المرونة» وهو ما يعني قدرة المادة على التعافي بعد التشوه، كما يقارن برونيرمير. وبالمثل، فيما يتعلق بالاقتصاد، فإن مرونته تعني – القدرة على العودة إلى متوسطه –، أي أن المرونة هي العودة إلى المسار الصحيح بعد الصدمة الاقتصادية.

يقول برونيمير إن تركيز البنوك المركزية ليس على توزيع المخاطر، بل على متوسط الارتداد هو نهج مختلف تماما: "هذه هي المرونة، التي تعد، إلى جانب القدرة على الاستجابة، أمرا بالغ الأهمية حتى نتمكن من العودة إلى الوضع الطبيعي".

يقدم الاقتصاديون مقتطفات من خطاب برونيرمير.

من هو ماركوس برونيرمير؟ ماركوس برونيرمير أستاذ الاقتصاد ومدير مركز بيندهايم للتمويل في جامعة برينستون. وهو عضو في المجالس الاستشارية للبنك المركزي الألماني، وبنك التسويات الدولية، ومكتب الميزانية بالكونجرس، وهو مستشار سابق لصندوق النقد الدولي، ومجلس المخاطر النظامية الأوروبي، وبنك الاحتياطي الفيدرالي في نيويورك. وهو عضو في مجموعة بيلاجيو، وهي مجموعة من ممثلي العلوم الاقتصادية والبنوك المركزية ووزارات المالية في دول مجموعة العشرين.

مقاربات مختلفة

يمكن وصف فكرة إدارة الاستقرار، أو المرونة، على النحو التالي: يتمتع الاقتصاد باتجاه تنمية خالي من المخاطر مع انخفاض مستوى النمو. وهناك اتجاه أكثر تقلبا، ولكن مع متوسط نمو أعلى، على افتراض أن الاقتصاد يعود بعد الصدمات إلى هذا الاتجاه. وفي الحالة الثانية، يتعين على الهيئات التنظيمية التأكد من أن الاقتصاد الأكثر تقلباً لا يتغلب على "حاجز المرونة" المشروط: وإلا فإنه قد يصبح محاصراً ويسقط في "حلقة مفرغة"، حيث يخرج الوضع عموماً عن السيطرة. ومن الأمثلة على ذلك فك ربط توقعات التضخم من المرساة، عندما يرتفع التضخم، وبعد ذلك ترتفع توقعات التضخم.

كيف يمكنك محاربة هذا؟ ويتسم أحد الأساليب بالاحتراز: فمن خلال إنشاء حواجز المرونة والاحتياطيات، يصبح من الممكن إزالة مثل هذه "حواجز المرونة". والبديل هو زيادة مرونة السياسات، وهو ما من شأنه أن يسمح لها بالاستجابة بسرعة أكبر للتحديات: وهذا يعني أن هذا لا يؤدي إلى إزالة "الحاجز" في حد ذاته، بل منع التحرك في اتجاهه.

هناك العديد من الاختلافات بين إدارة المخاطر وإدارة المرونة. إن تنويع المخاطر يعني أن السياسة النقدية لديها العديد من الأدوات، ويستخدمها البنك المركزي جميعا للقيام بعمل واحد على الأقل. ويعني تنويع المرونة بدوره أن الجهة التنظيمية تترك خيارات مختلفة مفتوحة لنفسها، وعندما تدرك أن بعض التدابير تعمل بشكل أفضل، فإنها تزيد من استخدامها بسرعة. إنه يجرب ويجرب أدوات مختلفة ويقيس ما هو الأفضل – وهذا يزيد من مرونته واستجابته.

علاوة على ذلك، فإن ما يصبح مهما ليس فقط مدى تحرك المتغيرات في الاتجاه المشترك، بل وأيضاً مدى تأثير الصدمات التي يتعرض لها أحد المتغيرات على قدرة الآخر على العودة إلى المتوسط. مثال: صدمة الاستقرار المالي تجبر البنك المركزي على إنفاق موارد لا يمكنه استخدامها لاحقًا للحفاظ على استقرار الأسعار. وعندما تحدث صدمة لاستقرار الأسعار، فإن الجهة التنظيمية لديها مجال أقل للمناورة. واليوم أصبحت مهمة البنوك المركزية أكثر صعوبة لعدة أسباب، وبدأ الوضع يتغير بسرعة أكبر، وأصبح التنبؤ بالنتائج المستقبلية أكثر صعوبة. ويعني انخفاض القدرة على التنبؤ أن الاستجابة أصبحت أكثر صعوبة، ناهيك عن القيام بذلك في الوقت المناسب. إضافة إلى ذلك، كثيرا ما نتحدث اليوم عن ضرورة التعامل مع العديد من الأزمات في وقت واحد، عن «الأزمات المتعددة».

يؤثر مستوى الضخم للدين العام على ديناميكيات التفاعل بين السياسات المالية والنقدية. ويؤدي ارتفاع أسعار الفائدة إلى زيادة العبء على الميزانية، وهذا بدوره يؤدي إلى تحفيز الضغوط السياسية على البنك المركزي. إن المستويات القياسية للديون اليوم تعني أن استقلال البنوك المركزية سيكون تحت تهديد غير مسبوق.إن اقتران الديون الخاصة المرتفعة بالتضخم المرتفع يعني ارتفاع أسعار الأصول وعلاوات المخاطر المضغوطة. عندما كانت العديد من البلدان تعيش في ظروف انخفاض التضخم، كان بإمكان المنظمين الجمع بين تحقيق استقرار النظام المالي ودفع التضخم إلى الهدف – ففي نهاية المطاف، كان من الضروري"الدفع" من الأسفل إلى الأعلى. والآن أصبحت هذه الأهداف متضاربة: فالحفاظ على الاستقرار المالي من الممكن أن يقوض استقرار الأسعار.

كما تؤثر سلسلة من التحولات الهيكلية في الاقتصاد العالمي – التحول الأخضر، وتراجع العولمة، والتحول الديموغرافي – على علاوات المخاطر. يؤدي الانتقال إلى العمل عن بعد إلى تغيير توزيع الوقت بين العمل والترفيه ويؤثر على دخل العمل؛ فالتغيرات الديموغرافية تعمل على تغيير مسارات الادخار والإنفاق على المدخرات؛ يؤدي تفكيك العولمة إلى خسائر في الكفاءة. إن السياسة النقدية ليست مسؤولة عن الإصلاحات الهيكلية، ولكن التحول نفسه يغير طبيعة الاقتصاد الذي تعمل فيه الجهة التنظيمية النقدية. ومن الممكن أن تشكل هذه الأسباب العديد من "الفخاخ" للبنوك المركزية.

وبوسع البنك المركزي أن ينفذ هذه المهمة بشكل مباشر، ولكننا شهدنا مؤخراً توجيهات استباقية مستترة ــ عندما اعتمدت البنوك المركزية على بيانات معينة: فقد وعدت، على سبيل المثال، بمواصلة تحفيز الاقتصاد إلى أن يتم تحقيق بعض أهداف التيسير الكمي. تبين أن أي توجيهات مسبقة ملزمة ولا تسمح لك بالتصرف بمرونة عند ظهور تحديات جديدة.

العلاقة بين السياسة المالية والنقدية. تعمل الحوافز المالية على توليد طلب إجمالي إضافي، وهو ما من شأنه أن يولد الضغوط التضخمية. وإذا كان التحفيز المالي مصحوبا بزيادة في الديون، فإنه يتبين أيضا أنه مؤيد للتضخم. وهذا يؤدي إلى صراع بين السياسات النقدية والمالية. عندما كان التضخم منخفضا، كان من الممكن تحقيق استقرار النظام المالي والأسعار في نفس الوقت، لكن هذا لم يعد ممكنا. (في ظل الهيمنة المالية، تكون السياسة النقدية مقيدة باعتبارات

الاستقرار المالي وتستجيب للوضع المالي للقطاع الخاص، وليس للتضخم.).

المرونة العالمية

في سياق عالمي، تتيح أسعار الصرف المعومة إمكانية زيادة «مرونة» الاقتصاد. وفي ظل سعر صرف مرن، فإننا نتحدث في الأساس عن اتفاق عالمي بشأن تقاسم المخاطر: حيث تنخفض قيمة عملة البلاد، ويستفيد المصدرون منها ــ وبعد بعض الوقت تستطيع العودة إلى مسار النمو السابق. وبالتالي، فإن انخفاض قيمة العملة المؤقتة هو آلية لزيادة المرونة. ما لم يكن، بالطبع، نتحدث عن موقف حيث تكون حصة كبيرة من ديون الدولة مقومة بالعملة الأجنبية. وإذا لم تلجأ دولة ما إلى خفض قيمة العملة بشكل متعمد ومفرط، فإن هذا يتحول بالفعل إلى استراتيجية «إفقار جارك» (ما يسمى التخفيضات التنافسية لقيمة العملة، أو حروب العملة، عندما تقوم كل دولة بإضعاف عملتها من أجل الحصول على مزايا في الصادرات).

أمور أخرى قد تؤدي إلى زعزعة استقرار النظام المالي العالمي

إن تدفقات رأس المال العالمية هي في المقام الأول رحلة إلى الأصول الآمنة. المشكلة في الهروب إلى الأمان اليوم لا تكمن في النقص: فقد تم إصدار الكثير من سندات الخزانة الأمريكية على مدى السنوات الخمس الماضية. والمشكلة هي أن هذه الأصول موزعة بشكل غير متماثل في مختلف أنحاء العالم. وهذا سوف يزعزع استقرار الاقتصاد. وهذا أمر سيئ سواء بالنسبة للبلدان المتقدمة، التي تواجه تدفقات مفاجئة تؤدي إلى ارتفاع قيمة عملاتها وتقليص القدرة التنافسية لأسعار صادراتها، أو بالنسبة للبلدان الفقيرة، التي لا تستطيع ببساطة ملاحقة سياسات معاكسة للدورة الاقتصادية.

أعتقد أنه سيكون من الممكن إنشاء أصول آمنة عالمية بالإضافة إلى الأصول الحالية: ولهذا يمكن استخدام مجموعة من الأوراق المالية السيادية للبلدان النامية وإصدار شريحتين من السندات – العليا والثانوية. في حالة تخلف المقترض عن السداد، فإن الضمان الأصغر سيكون أول من يعاني، وبعد ذلك فقط يكون الضمان الأكبر، أي أن الأول سيكون بمثابة حماية للثاني. ومن ثم فإن الهروب إلى الأصول الآمنة لن يحدث عبر حدود الدولة فحسب، بل وأيضاً عبر حدود الأصول، وهو ما من شأنه أن يزيد من استقرار النظام.

لتلخيص ذلك، تركز إدارة المخاطر على احتمالية حدوث المخاطر على المدى القريب، في حين تأخذ إدارة المرونة في الاعتبار، على مدى فترات متعددة، مدى مرونة النظام في الاستجابة للصدمة ومدى سهولة ارتدادها.

الخروج على روح ميثاق العمل الوطني

لأننا كعادتنا كشعب طيب يستجيب لأي بادرة إيجابية بسلوك تلقائي للمحافظة على مكتسباته حباً لبناء وطن المستقبل المنشود ورفعة أبنائه، وذلك تعزيزاً وتثبيتاً لدولة القانون من خلال التأكيد على المبادئ الأساسية، فإننا، وبمناسبة مرور أكثر من 22 عاماً على صدور ميثاق العمل الوطني، نستكر كيف شكّل منعطفاً تاريخياً، حيث صوت عليه بنعم 98.4% من شعب البحرين، وذلك في الرابع عشر من فبراير من العام 2001. وكان بشارة خير لقرار شجاع، راج تجسيده في الصحافة، حيث اتخذ مساحة كبيرة على جميع صعد الإعلام المقروء والمتلفز والمذاع.

قاسم الحلال

لقد بدأ المواطن يشعر بالاقتراب من تحقيق أمانيه وسيتنفس الصعداء، حيث صدر عفو عام عن 281 من المحكومين والموقوفين في قضايا أمن الدولة، وتبعه عفو عن 16 من المسجونين وعودة 500 من المنفيين يعيشون في دول مختلفة من العالم، إلى الوطن والمشاركة في بناء مستقبله، لقد حلموا بهذه اللحظة وهم يحملون جراحاً استطاع ميثاق العمل الوطني التعالي على تلك الجراحات والمصاعب ومرارة ماض ولى، اعتقدنا أنه سيولي للأبد لأننا دوماً ننظر للأمام، لانضمر كراهية ولا حقد، حيث مر الوطن الصغير والكبير بأبنائه بمخاضات كثيرة، لكنه استطاع ان يجدل ملامح جدة لمنارته.

لقد برزت يومها سمة التسامح وفتح باب الحوار الوطني بين كل الفرقاء في العمل السياسي الذي خلق أجواء تضع بلسماً على الجراح، وفتحت بوابة العمل الديموقراطي لبناء وطننا الغالي، حيث تكريس المشروع الإصلاحي توقاً للحرية ومجتمع المؤسسات المدنية، كان بريقاً بعد أكثر من سبعة عقود، وكان عهداً جديداً في حياة شعب بعد (قانون أمن الدولة) الذي امتد أكثر من ثلاثة عقود، حيث دخل الوطن بعد حل المجلس الوطني الأسبق في أزمة سياسية خانقة، فتحققت أهداف سياسية واقتصادية وثقافية وانطلقت حرية تكوين جمعيات العمل الوطني وتشكيل النقابات العمالية والتكافل الاجتماعي بين الناس وتحققت بعض الإنجازات الهامة، رغم أن هذه الإنجازات التي طرحها الميثاق كانت قاصرة، وكان التطبيق يحبو، حيث كانت مخالفات مسكوت عنها وانعدام الجدية، وبعد سنوات ابتدأت التراجعات بينة وملحوظة في التطبيق، حتى النواحي الأمنية، وسرعان برزت خلافات في سبيل إعطاء رؤية صحيحة تخرج الوطن من محنته، ورغم أننا نؤمن بطبيعة الاختلاف السياسي والاجتماعي، لكن يتحم علينا أن يكون لنا دور مهم في أخذ الوطن إلى مصاف الدول التي ترسخت فيها الأسس الديمقراطية على أنها منهج مستمر ليس مزاجياً، متى أرادها نفر قليل يخدم مصالحه طبل لها ومتى كانت في خدمة السواد الأكبر رفضها!!

ان المشروع الوطني هام ويسهم في ابراز الروح الديموقراطية النبيلة ليكون سارية يقف عليها يتساوق في مهب، كرايته التي تتعافي قمتها راية الوطن، مجسدة كل معاني المحبة والألفة والتسامح المنشود الذي لا يعرف المزاجية في الاخلاق والتعامل والتعاون، حتى نرى في الأخير من يهزم القانون والبنود والمواثيق ويرسم طريق آخر مشوب بالأخطار والهموم مجدداً .. ما هذا إلا تيه في الهاوية وسلك طرق متعرجة لنغرق من جديد، وبالحتم سنفوق لننهض من جد لتعبيد طرق جديدة .. تأخذ ثمار الأجيال الجديدة، وهذا ما نأمله ونعمل من أجله.

تجربة العمل السياسي في ولايات كيرالّه والبنغال الغربية وتري بورا

فيما يتجه الوعي العالمي إلى تفضيل إقتصاد السوق

الشيـــوعيـــون الهنـــود يعيـــدون بنـــاء أنفسهـــم

في عام 1957 استطاع الحزب الشيوعي الهندي الفوز بأغلبية الأصوات في ولاية كيراله لتصبح أول ولاية يحكمها الشيوعيون في الهند، وأصبح حاكمها الشيوعي (V.S. Achutthanandan) الذي بلغ عمره اليوم 100 عام ومايزال عضوا حزبياً. إن طريق الشيوعين في الهند طريق مغاير لكل الأحزاب الشيوعية في العالم وقد نجح الحزب في تطبيق تكتيكاته السياسية خلال العقود الماضية في ظل الديمقراطية الهندية وتداول السلطة مع الأحزاب اليمينية. ولم تأتِ هذه التكتيكات والعمل الحزبي الدؤوب بالسهولة التي يتصورها البعض، بل بكثير من المعاناة وجهود مضنية في التحليل العلمي لتاريخ المجتمعات الهندية والقوى المتحكمة في حركتها وصراعاتها الطبقية بأشكالها المتعددة من أجل تطبيق أسس الإشتراكية فيها بدءاً من تنظيم الجماهير لمقاومة الإستعمار ودكّ قبضة (المهراجات) حكام الهند السابقين والإقطاعين والكمبرادور والعملاء الذين إرتبطت مصالحهم بالوجود البريطاني، بالإضافة إلى محاربة الفروقات العرقية والدينية والاجتماعية وعلى رأسها قضية (الداليت أو المنبوذين).

لقد بذل الحزب الشيوعي الهندي الكثير من التضحيات، وسجن كوادره وعذبوا ولوحقوا منذ سنة 1925 حين أسس الحزب تأثراً بالثورة الروسية وإلى أن إنقسم الى حزبين هما (الشيوعي الهندي الماركسي) و(الشيوعي الهندي) بعد مؤتمر 1964 حين نشأت الخلافات بين أعضائه بسبب النزاع الصيني السوفيتي، راضي أوتركزنفوذ الحزبين الرئيسي في 3 ولايات هي البنغال الغربية (103 ملايين نسمة) وكيراله (35 مليون نسمة) وولاية تري بورا (4 ملايين نسمة) وحكم الحزبان ولاية غرب البنغال منذ سنة 1977 وحتى 2011 بعدها خسروا الأغلبية البرلمانية في تلك الولايات، والتي حكموها ضمن تحالف (جبهة إتحاد اليسار) – مع شركائهم الأحزاب الاشتراكية واليسارية في تلك الولايات.

كانت خسارتهم لأسباب رئيسية من بينها قدم بنيان الحزب أيديولوجيا وإدارياً وتخلف الخطاب السياسي عن مطالب الجماهير وعدم فهم الحزب لبنيان وإتجاهات إقتصاد السوق وكيفية إدارته بحيث لا يتعارض مع مصالح الطبقات الكادحة، كما أن الثغرات في عمل الحزب وقت أزمات مثل الفيضانات السنوية وخسائر الفلاحين واللاجئين وأزمة التوافق بين تشجيع الإستثمارالرأسمالي من جهة والعمل النقابي من جهة أخرى وإستيعاب العمالة من الولايات المجاورة وحل أزمة البطالة وهجرة العمالة المحلية واخيرا الصدام مع إنجذاب وعي الجماهير وخاصة الفئة المتعلمة منها (بعد سقوط الأنظمة الاشتراكية) نحواختيار إقتصاد السوق والوفرة والملكية الفردية وتملك التكنولوجيا ووسائل الراحة التي خلقتها الرأسمالية بالإضافة إلى تعطشها لوسائل التعبير الديمقراطية ومقتها للديكتاتوريات الفردية والجماعية والحزبية من أي اتجاه كانت. وبالنتيجة فإن الحزبين الشيوعيين كانا بحاجة إلى إحلال كوادر شابة وبرنامج سياسي إقتصادي حديث يفي بمتطلبات المرحلة وضرورات التغيير الإداري في بنية الحزب ولغة أدبياته وتربية أعضائه وتوعية جماهيره والقراءة الاقتصادية السياسية الصحيحة للأوضاع وتشجيع حريات النقد والتعبير في داخل الدوائر الحزبية .

اليوم يحكم الحزب الشيوعي الماركسي ولاية (كيراله) بعد فوزه بالأغلبية في انتخابات 2021 وقد تقدّم كثيراً في كسبه لجماهير واسعة من الكادحين والفلاحين والعمالة المهاجرة ولمع في حل مشاكل الكورونا، وأنقذت ملايين الأرواح من خلال خطط صحية كانت الأفضل في الهند وضعتها وزيرة الصحة الشيوعية وتنتظر الحزب معركة انتخابية حاسمة السنة القادمة 2024 يتنافس فيها مع حزب المؤتمر، ويعمل الحزب بالتنسيق السياسي مع الأحزاب اليسارية في جبهة اتحاد اليسار.

فقد نجح برنامج هذا التحالف ومن قبله برنامج الشيوعيين تاريخيا بدءاً من مجابهتهم منذ قرن من الزمان للمستعمر البريطاني عسكريا وسياسيا ثم خاضوا التجارب في مراحل ما بعد الإستقلال فمرحلة إستيعابهم لما جرى في العالم بعد سقوط المنظومة الإشتراكية الأوروبية ونتائجها السلبية من إخفاقات إقتصادية وسياسية وإدارية وأيديولوجية فعملوا لتطوير حزب من طراز حديث ومنظومة عصرية تسعى لبناء المجتمعات الإشتراكية بمفاهيم عصرية .

أما عمل الحزب بين صغار المزارعين وحمايتهم من القوى المتحكمة في السوق أو مافيا الأسواق كما يطلق عليها السكان المحليو،ن فكانت له دلالاته في السنوات الأخيرة، لأن حكومة كيراله بقيادة الشيوعيين قد حافظت على مستوى معيشة الفلاحين وحمتهم من الإفلاس حتى في أوقات الأزمات كالأمطار الغزيرة أو الفياضانات أو تدهور الأسعار او إنتشار الاوبئة الفتاكة بالمحاصيل، وبذلك كسبت ثقة الفلاحين وحمتهم من الفاقة والإفلاس واليأس والانتحار كما هو منتشر في باقي الولايات. وقد أدخلت حكومة الحزب نظام البطاقات التموينية حيث يمكن للمعوزين أو الفلاحين المفلسين أو الفقراء وكبار السن الحصول على كل المواد التموينية الأساسية بأسعار رمزية. وتتفوق هذه الحكومة الشيوعية على غيرها في الولايات الهندية الأخرى في الشفافية وتوسيع دور النقابات وتكوين المجالس البلدية الشعبية في جميع القرى من أجل مراقبة ومشاركة الحكومة في إنشاء البنية التحتية ورصف الشوارع وخفض قيمة الوقود وإنشاء المدارس وتحديث المناهج وتكنولوجيا التعليم وتحسين الخدمات الصحية في القرى بالإضافة إلى توفير فرص العمل للشباب وسن قوانين حماية المرأة وحقوقها في التملك والإرث وتقرير مصيرها وإصدار قوانين العناية بذوي الهمم وإنشاء دور العناية بكبار السن كما أنها كوّنت على مدار السنوات نظاماً أمنياً قوياً يحمي المجتمع ومنظومة قضائية مستقلة تلاحق المفسدين وتخفض من وقع البيروقراطية الحكومية. كما أن الحكومات الشيوعية المتتالية قد حلت مشكلة المياه والسدود فهناك مناطق جافة تحتاج إلى المياه كما هو الحال بالنسبة للمناطق المجاورة لولاية تاميل نادو ومناطق أخرى تفيض فيها المياه كما هي المناطق المجاورة للأنهار .

وفي انتظار الانتخابات القادمة فإن الأحزاب اليمينية مثل V.J.P. حزب رئيس الوزراء اليميني المتطرف وحزب يمين الوسط (كونغرس) تلعب على أوتار البحث عن ما يبعد الجماهيرعن الشيوعيين، فتارة يلوث إسمهم بالدعايات الدينية وأخرى بتهم الفساد وأخرى بتوطين العمالة من الولايات الأخرى الأفقر ويُتهم الشيوعيون بمصادرة الأراضي من الأغنياء وتركها تبور وتتآكل وأخيراً يُتهمون بمحاربة الاستثمار وإقتصاد السوق والقيم الفردية بقيم الشيوعية القديمة.

ومن بين هذه الإشاعات والأكاذيب لإرهاب الناس وغسل أدمغتهم وإبعادهم عن التصويت للشيوعيين:

محاولة تدمير الثقة بالحزب في مسألة ورود آلاف الأيدي العاملة المهنية الفقيرة من الولايات المجاورة وخاصة البنغال الهندي للعمل في كير الله، إثر ترك الجيل الجديد (المتعلم) للعمل اليدوي كالعمل في الأراضي الزراعية والمهن الأساسية كالإنشاء والكهرباء والمواصلات والنسيج والخدمات الأخرى وتفضيلهم للعمل في شركات إنتاج وبرمجة الكمبيوتر والبنوك والمبيعات في داخل الهند وخارجها، وتصوير المشكلة وكأن الحزب يريد توطين العمالة الواردة بدل السكان.

إن العمالة الواردة بالآلاف من البنغال الهندي إلى كيراله قد خلقت مظاهر ثقافية ومعيشية جديدة وتكاد تكون مشابهة لما يحدث في دول الخليج، فقد إكتظت وسائل المواصلات وزاد الضغط على حكومة الولاية في الإحتفاظ بمزايا التعليم والصحة وأسعار الوقود التي يتم دعمها من الحكومة كما أن الأحياء والمدن قد إكتظت بالسكان والمهاجرين وبرزت ثقافة

ولغة البنغال في الجرائد والإذاعة والتلفزيون ضمن قنوات خاصة مما أدى بالأهالي للشعور بالغربة وأصبحت هذه الظاهرة سلاح لإعلام المعارضة بأن كيرالله سيسيطر عليها البنغاليون ويطردون سكانها الأصليون.

إستغلال التضامن النقابي الذي يدعو إليه الشيوعيون بين عمال كيرالله وعمال البنغال المهاجرين إليها بالإضافة إلى قوانين تفكيك الإقطاع وتوزيع الأراضي ومراقبة أصحاب شركات الإنشاء ومافيا أسواق السمك واللحم والمحاصيل الزراعية المدعومة من عصابات الأحزاب اليمينية وحزب الكونغرس (المؤتمر) – إستغلت هذه المكتسبات الشعبية ليحوّلها الإعلام المضاد للحزب إلى إشاعات تفضيل الحزب الشيوعي للعمالة الأجنبية ودعم سيطرتها على الاسواق والعمل في المزارع والمنشآت بدل مواطني كيرالله.

محاولة إستغلال القيم الدينية في تفكيك الحزب وإبعاده عن جماهيره من خلال تشويه قيم الشيوعيين الإجتماعية ونظرتهم إلى الأديان، ولكون أغلبية أعضاء الحزب وجماهيره من المؤمنين بالهندوسية والأديان السماوية ومن بينها الإسلام مستغلة تصريح بعض المسؤولين في الحزب بأن المرأة الهندية وجب أن تحترم أكثر، وأن المعابد الهندوسية وجب ان تسمح للمرأة بزيارتها وأن الكنيسة وجب أن تساوي بين المرأة والرجل في مراتب القسيسين – تصريح جوبه بأمر بعض رجال الدين الهندوس الناس بالإبتعاد عن الحزب الشيوعي (بعذر أنه يدمر القيم الهندوسية وينكر وجود الآلهة) وأن يتوجهوا للتصويت لأحزاب أخرى لكي يخرج الحزب من سدة الحكم.

وتركز الأحزاب اليمينية على مبدأ أن الحزب الشيوعي لا يريد لأهل كيرالله ومليبار أن يحسنوا من أحوالهم المعيشية، لذلك فهو يتبع مبادرات عدم تشجيع الإستثمارالإقتصادي وحماية إقتصاد السوق فهو يطلق أيادي النقابات في وجه الإستثمار الأجنبي والمحلي لكي يبقي على أهل كيرالله فقراء مثل سكان كوبا وفنزويلا ونيكاراغوا والمنظومة الاشتراكية سابقاً – و قد أصبحت هذه الدعاية من التحديات الكبيرة لبرنامج الحزب، فمن الدروس التي تعلمها الحزب عبر تاريخه هو أن الجماهير تتوجه إلى مصالحها الآنية حين تصطدم تلك المصالح الآنية بأيديولوجية الحزب، لذلك فالحزب مضغوط من هذه الزاوية ويحاول بكل جهده إيجاد الحلول الإقتصادية المناسبة ومن بينها التوجه على مراحل نحو (اقتصاد السوق والرأسمالية الرحيمة) لكي لا يخسر جماهيره ويظل مدافعاً عن مصالح الكادحين والمزارعين والطبقات الوسطى المتضامنة معه.

إن الشيوعيون الهنود على أعتاب تسجيل تجارب جديدة، وستفيد أحزاب الكادحين في العالم وبخاصة العالم الثالث. إنها تجارب الجمع بين تكوين الأحزاب الشيوعية العصرية وتحقيق المزيد من المكتسبات للكادحين .

مناضلون من أجل الاشتراكية

المناضل V.S. ACHUTHANANDAN

ولد في 20 اكتوبر 1923.

عاش يتيما فاضطر لترك المدرسة والعمل في الخياطة وصنع الحبال.

ناضل في شبابه من أجل الاصلاح الزراعي وعمل بين صفوف النقابين الذين مثلوا العمال والفلاحين مما جعله محبوباً بين صفوف الأهالي.

لوحق وقمع من قبل البريطانين في سنة 1938. وفي سنة 1940 أصبح عضواً في الحزب الشيوعي الهندي.

لوحق ورفاقه من جديد من قبل السلطات الاستعمارية البريطانية وعذب وسجن حوالي 5 سنوات ثم إضطر للإختباء لأربع سنوات ونصف حيث راح ينشط في العمل السري.

إنشقّ عن الحزب الشيوعي الهندي وكوّن مع جناحه الحزب الشيوعي الماركسي على أثر أزمة الإختلاف الحاد بين الرفاق في مسألة الخلافات السوفيتية الصينية في سنة 1964.

هوالعضو الوحيد الحي من المكتب السياسي المؤسس للحزب الشيوعي الهندي الماركسي.

إنتخب من قبل الحزب ليكون عضواً في مجلس حكم الولاية سنة 1957 وأصبح سكرتيرا عاما للمجلس المذكور من سنة 80 وحتى سنة 1992.

في سنة 2006 انتخب حاكماً لولاية كيرالله وكان بعمر 82 وإستمر حاكماً حتى 2011.

في فترة حكمه لكيرالله إسترجع الأراضي الحكومية التي أخذت بدون حق في مقاطعة (مونار) الجبلية السياحية ذات الأراضي الخصبة، ووفر مئات فرص العمل من خلال بناء الطرق الحديثة في مدينة (كوجن) وتسهيل المواصلات والنقل وأنشأ ميناء حديثا ومطار دولي في الولاية ومنح البلديات مساحات كبيرة لبناء المناطق الترفيهية والحدائق للناس.

في مجال التعليم جعل الحصول على برامج تقنية المعلومات بالمجان في المدارس والجامعات وأشرف على إنشاء وادي تكنلوجيا المعلومات حيث المدينة العلمية التي يتم فيها صناعة وتداول وبيع وشراء حقوق برامج تكنلوجيا المعلومات الحديثة على شاكلة وادي السليكون في كاليفورنيا خالقاً بذلك آلاف فرص العمل.

حارب الفساد الإداري في الولاية وقضى على ما يسمى بـ (مافيا اليانصيب ومافيا الكهرباء ومافيا المواصلات).

بعد عمر الثمانين وفي سنة 2007 قام برحلة حج سيراً على الأقدام لمعبد (ساباريمالا) في الولاية مما كانت له أصداء مثيرة للجدل فقد وصفت هذه الرحلة لعلماني عجوز من قبل البعض بأنها (صحوة روحية دينية تكررت من قبل أعضاء كبار في السن في عدد من الأحزاب الشيوعية) بينما وصفها البعض الآخر بأنها إحدى السبل للتقرب من القيادة الدينية الهندوسية في الولاية والتي إنحازت إلى الحزب الحاكم VJP بسياسته الفاشية.

في سنة 2011 تمّ إبعاده من المكتب السياسي وقد أعلن الحزب بكل شفافية بأن قائده الرفيق (أشوثناندان) قد تم استبداله ليحل مكانه الرفيق (بينارآيي فيجايان) بسبب عدم اتخاذ الرفيق والقائد السابق للحزب موقفاً حازماً في مسألة قيام ثلاثة من أعضاء سكرتاريته الخاصة بتجاوزات مالية وإدارية لا تليق بالحزب ونظراً لذلك فقد تم طرد الثلاثة من الحزب، وتمت إقالة الرفيق من المكتب السياسي للحزب .

واليوم وبالرغم من بلوغ سنه مئة عام، فما يزال هذا المناضل المخضرم مساهماً في نضالات الحزب الشيوعي الهندي الماركسي رافضاً التقاعد وتعتبره الجماهير في ولاية كيرالله رمزاً من رموز محاربة الإستعمار والعمل الاشتراكي في الهند.

المرأة.. والخوف من حُرية التعبير

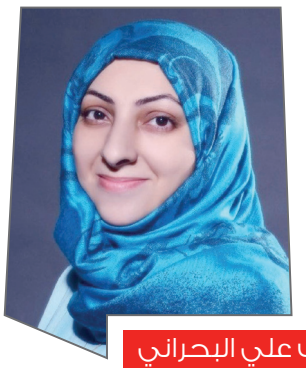

زينب علي البحراني

تتفاوت مُستويات حُرية التعبير في عالمنا العربي بين مُجتمع وغيره، فبينما تمتاز المُجتمعات المعروفة بتاريخ يفخر بتعددية أطيافه وتمازجها وسلاسة التعايُش مع الآخر بمساحات حُريات تعبير أكثر اتساعًا؛ يُلاحظ تضاؤل تلك المساحات إلى حد قد يبدو مُفرطًا – وربما خانقًا– في المجتمعات الأكثر انغلاقًا وتشرنُقًا حول الذات؛ حيث تكثر المُحرمات والممنوعات التي على رأسها "حُرية التعبير" بمُختلف صورها وصولاً إلى أبسط أشكالها أحيانًا، وإذا كان الرجُل المُفكر يُعاني أحيانًا من التقييد الذي قد يحد من حُرية الإعلان عن بعض أفكاره على مسامع الفئة النمطية من المُجتمع خشية البطش أو النبذ الأسري والمُجتمعي؛ فإن المرأة إن جروءَت على اعتناق رأي مُغاير عن المُعتقدات السائدة فسيكون نصيبها من العقاب أضعاف ما يتلقاه الرجُل، ما يجعل أكثر النساء – حتى اليوم– يخترن الانزواء الصامِت وتجنب الإعلان عن آرائهن خوفًا من مصيرٍ لا يقوينَ على مواجهته.

يتوهَّم البعض أن المرأة في المُجتمعات العربيَّة "نالت حقوقها وزيادة" بالنظرإلى ما يطفو على سطح الإعلام الذي ينتقي دائمًا النماذج الأنثوية القليلة المُتمكِّنة من تحقيق بعض طموحاتها عن طريق الصدفة التي وهَبَتها فُرصة أن تولد بين أحضان أُسرةٍ راقية ذات ثقافة عالية وظروف ماديَّة على قدرٍ من الرفاهية، أوعن طريق الكفاح العصامي المرير والاستبسَال في معارك أسريَّة ومُجتمعيَّة وماديَّة لم يصلن معها إلى جولات التصر إلا بأرواح داميَة، عندها يُسلط الإعلام اضواءَه الغزيرة على تلك النماذج الجاهِزة موحيًا للعالم أن هذه المُجتمعات قدَّمت لنسائها ما يكفي لتمكينهن من التفوُّق والتألُّق بسهولة، بينما وراء كل امرأة من هؤلاء مئات آلاف النساء المحرومات من أصغر حقوقهن التي منها الحق في حُرية التعبير، بل في حُرية التفكير واتخاذ القرار في الشؤون التي تخصهن على أقل تقدير، وحتى أولئك النادرات المُتألِّقات تتربص بهن سياط العار المُلتهبة لتجَلدِهن وجَلد أُسرهن جَلدًا مُضاعفًا عند أي تُهمة قد تكونُ مُلفَّقة بهدف تدميرهن.

خذوا هذه الحكاية الواقعيَّة عن إحدى السيدات الخليجيَّات الباسِلات اللواتي تمسَّكنَ بحقهن في حُرية التعبير عن أفكارهن التي لا يتحملها جهل المُجتمع رغم أنها لا تنتهك قانونًا من القوانين الرسمية للدولة: كانت تلك السيدة متزوجةً زواجًا تقليديًا مُبكرًا من أحد أقاربها، لم تتحمل شخصية هذا الرجل التقليدية المُفتقرة للشجاعة الثقافية هجوم الجراد البشري الذي ينعته بأقذع الصفات لأن زوجته تُعلن عن آرائها صوتًا وكتابةً بمنتهى الشفافية، فما كان منهُ إلا أن طلَّقها ليحمل تطفُّل أولئك الناس وزرَ دمار تلك الأسرة وتشتيت صِغارها، وفوق هذا استمر أولئك المُتطفلون يدسون أنوفهم في حياتها للركض إلى والدها وأشقَّائها طالبين منهم تأديبها وإخراسها.. حاولت السيدة الشجاعة استكمالَ حياتها بتكوين أُسرةٍ جديدة مع زوجٍ آخر ينتمي للوسط الأدبي من مدينةٍ أُخرى غير مدينتها، وانتقلت للعيشِ معه في مدينته على أمل أن تُكمل حياتها في منزلها الجديد بسلام بعيدة عن شهوة الأذى الي تتبعها من صعاليك المُجتمع، وإذا بالرسائل النصيَّة والمُكالمات الهاتفية تنهال على هاتف زوجها الجديد مُطالبة إياه بلجمها وتهشيم اسنانها لتخرس!

يرتفع منسوب النفاق والرياء في المُجتمعات المُنغلقة لا سيما المُتشددة دينيًا، لذا لا يتحمل أفرادها رأيًا صريحًا يكشف زيفهم وجُبنهم، وإذا كانت الناطقة بالرأي امرأة يُسارعون بسنِّ سكاكينهم وشحذ مناجلهم بكل ما يملكونه من ألفاظ بذيئة وتُهم باطِلة لتدمير سُمعتها والغاء وجودها على ساحة الحياة، وقليلاتٌ جدًا اللواتي تَحمِل أرواحهن نار الحُريَّة القادرة على اذكاء جذوة قدرتهن على التحمُّل والاستمرار رغم وطأة الابتزاز والترويع والتهديد ممن هب ودب.

المـــرأة ليســـت لعبـــة الـــرجـــل *

(1)

"إني أدعوك، أيتها المرأة المصرية، إلى أن تثبتي وجودك الإنساني والاجتماعي في الدنيا بالعمل والإقدام، وأن تختاري حياتك واختباراتك.

أدعوك إلى أن تدربي ذكاءك، وتربي شخصيتك، وتستقلي في تعيين سلوكك، وتزدادي فهماً وخبراً ونضجاً بالسنين.

أنت إنسان، لك جميع الحقوق الإنسانية التي للرجل، فلا تقبلي أن ينكر عليك أحدٌ هذه الحقوق وأن يعين لك طراز حياتك.

أنت إنسان، لك حق الحياة واقتحام التجارب البشرية وحق الإصابة والخطأ؛ لأنك، بغير ذلك، لا تحصلين على تربية إنسانية؛ أي لا تكبرين ولا تنضجين، بل تبقين طفلة ولو بلغت الستين أو السبعين من العمر.

سيقال لك إن البيت هو دائرة نشاطك – وهو كذلك إذا شئت أنت – ولكن ليس لأن هناك حكماً سماوياً قهرياً يجبرك على الطاعة وعلى البقاء في البيت. ثم اذكري أنه ليس في الدنيا بيت يمكنه أن يستوعب كل نشاط المرأة.

البيت أصغر من أن يستوعب كل إنسانيتك، وكل عقلك، وكل قلبك؛ لأن الدنيا الواسعة هي بيتك الأول"

(2)

وكثيرٌ من فتياتنا، خريجات الجامعات، يتزوجن، بل الأغلب أنهنَّ كلهنَّ ينشدن الزواج، ويجدن الأكفاء لهنَّ من الشبان المتعلمين مثلهن. وهذا حسن؛ لأن خير ما يستمتع به إنسان هو أن يحيا في عائلة، وأن يكلف واجبات، لها متاعبها ولذاتها، ولكنها رفيعة في القيمة الإنسانية. وليس في الدنيا أبعث على إحساس السعادة وأجمل، من الحب بين شاب وفتاة، يؤسسان بيتاً ويعيشان هذه العيشة الزوجية التي تسمو على الأنانية، وتهدف إلى التعاون بين اثنين قد ربطهما الحب وتربية الأطفال.

ولكني أنصح لجميع الزوجات، خريجات الجامعات، بل حتى أولئك اللائي لم يحصلن إلا على الشهادة التوجيهية، ألا يقتصرن بعد الزواج على خدمة البيت؛ إذ ماذا في البيت يستحق أن ترصد له الزوجة نفسها ووقتها وفراغها ؟

يجب على المرأة المتعلمة أن تعمل خارج البيت وتؤدي خدمة اجتماعية لوطنها؛ وذلك بأن تستغل جميع الفرص والوسائل الجديدة، التي تجعل أداء الواجبات المنزلية سهلاً يستغرق الدقائق بدلاً من الساعات. كما تجعل تربية الأطفال، فنية في أيدي المربيات، في المحضن أولاً إلى سن الرابعة، ثم في الروضة ثانياً إلى سن السادسة أو السابعة.

إنه حسنٌ وجميلٌ أن تكون المرأة زوجاً وأماً، ولكن واجبات الزواج والأمومة لا يمكن أن تستغرق كل الوقت، النهار والليل، عند المرأة المتعلمة؛ ولذلك يجب عليها أن تستغل معارفها ومهارتها في عمل اجتماعي آخر إلى جانب الزواج والأمومة.

وهذا العمل الاجتماعي الآخر هو الذي يصل بينها وبين المجتمع، ويكسبها العقل الاجتماعي، ويربي شخصيتها ويدرب ذكاءها ويؤكد استقلالها؛ وأعني هذا الاستقلال بأنواعه: الإقتصادي، والروحي، والإجتماعي.

على المرأة أن تحيا حياتها لنفسها أولاً، ثم لمجتمعها وزوجها وأبنائها. كما على الرجل أن يحيا حياته، مثل المرأة، لنفسه أولاً ثم لمجتمعه وزوجته وأبنائه.

والرجل لا يتخصص للزواج. وكذلك المرأة يجب ألا تتخصص للزواج؛ ذلك لأن حياتنا، نحن الرجال والنساء، أغلى من هذا وأرحب، من أن يحتويها هذا التخصص.

وليس من حق أحد في الدنيا أن يقول للمرأة: عيشي في البيت طيلة عمرك، ثمانين أو تسعين سنة، لا تختلطي بالمجتمع ولا تؤدي عمل المحامي أو الطبيب أو الصانع أو عالم المختبر أو الفيلسوف. وإنما اقصري كل قوتك وكل وقتك، على الطبخ والكنس وولادة الأطفال. لا، إن المرأة العصرية أرحب آفاقاً وأكثر اهتماماً، من أن يستغرق المنزل كل حياتها"

* من كتابه "المرأة ليست لعبة الرجل"

سلامة موسى

«مشاهد إنسانية من وطني»

ملحمة ناظم حكمت في سجن بـــورصـــة

تجتذب «بورصة» في تركيا آلاف السياح سنوياً للاستمتاع بجوها اللطيف وينابيع المياه المعدنية التي تشتهر بها، والاسترخاء في حضن المناظر الطبيعية الخلابة علي سفح جبل "أولوداغ" وشلالات المياه الباردة التي تتدفق في غاباته. قلّة من هؤلاء السياح يدركون أن في تاريخ هذه المدينة الوادعة، سجن كبير خلف قضبانه، أبدع ناظم حكمت أجمل أعماله الأدبية علي الإطلاق: ملحمته الشعرية "مشاهد إنسانية من وطني".

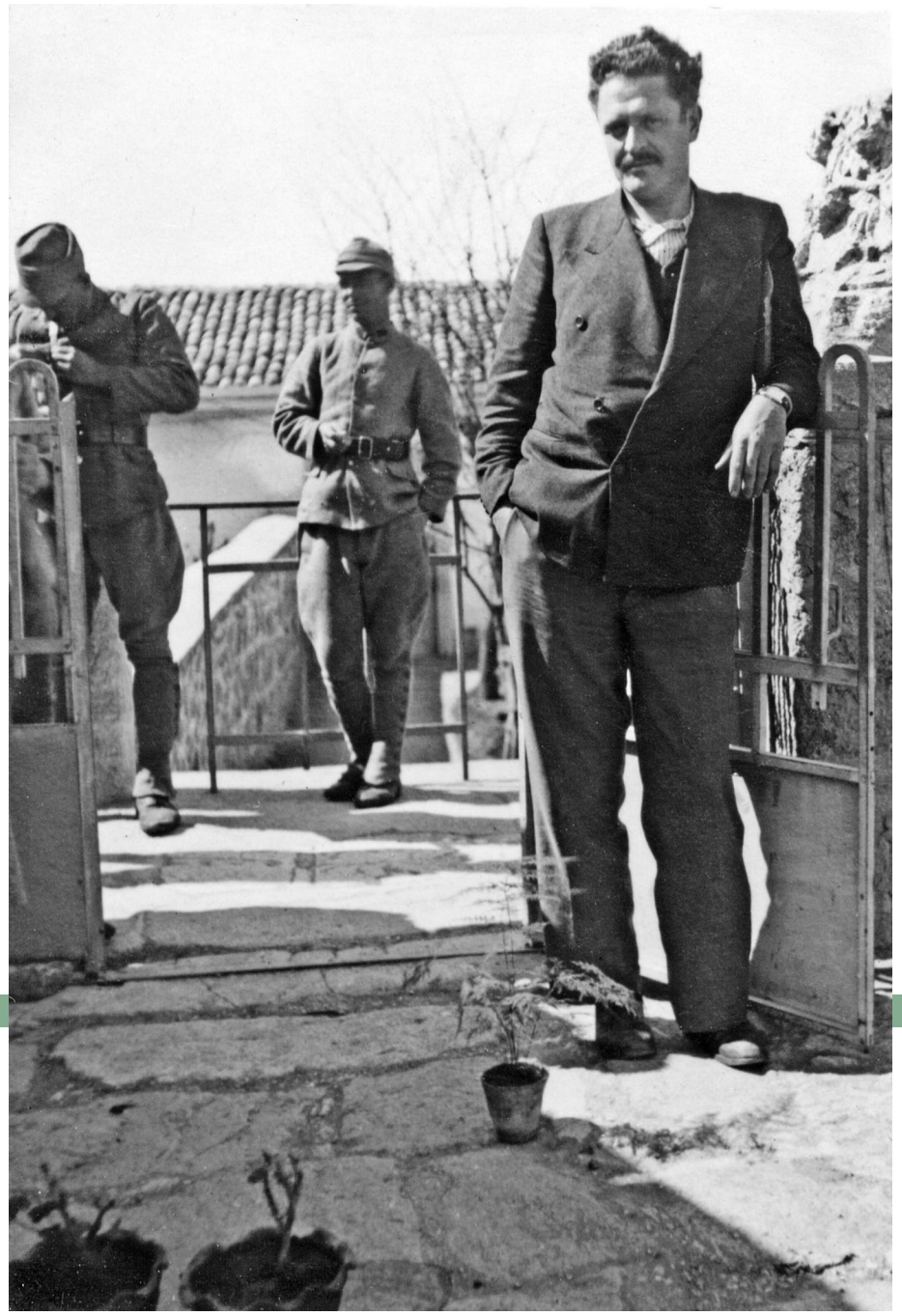

ناظم حكمت في باحة السجن عام ١٩٣٨

محمد ديتو

في حقيقة الأمر، فإن وقائع الأحداث الدرامية التي عاشها ناظم حكمت في عام 1938، وما فعله بعدها في السجن، جديرة بأن نطلق عليها ملحمة إنسانية بالمعني الحرفي للكلمة، و بدون أي نوع من المبالغة أو التبجيل الزائف. فالظلم الذي تعرض له يفوق الوصف، كما أن شجاعته وإنسانيته في التعامل مع هذا الظلم ستلهم أجيالا عديدة من بعده.

كان الشاعر يعمل حينها في استوديوهات شركة «إيبس» السينمائية في اسطنبول في وظائف متعددة، أهمها كتابة سيناريوهات الأفلام التي تنتجها الشركة. كان متزوجاً ويعيش حياة سعيدة مع أسرته في اسطنبول، ولم يكن علي صلة بأي نشاط حزبي معارض، خاصة بعد انقطاع صلاته التنظيمية مع الحزب الشيوعي التركي قبل عشر سنوات. في المقابل كان الوضع السياسي في تركيا والعالم آنذاك مشحوناً بالتوترات والاستقطابات الحادة بين اليمين واليسار، خاصة في ظل صعود موجة الفاشية في أوروبا بعد احتلال هتلر للنمسا، وانتصار الفاشية في الحرب الأهلية الإسبانية. كل ذلك دفع بجنرالات الجيش في تركيا، ذوي الميول اليمينية المتطرفة، نحو إبداء سلوك عدائي عنيف تجاه أي "مخاطر محتملة".

في أنقرة، كانت الأكاديمية العسكرية مسرحا لصراع بين مجموعتين من الطلاب الدارسين فيها، أحدهما يمينية وفاشية التوجه، والثانية يسارية. في مطلع يناير 1938 اقتحم الجنود ثكنات الطلبة واعتقلوا جميع أعضاء المجموعة اليسارية، ووجدوا بحوزتهم نسخاً من دواوين ناظم حكمت الشعرية (التي كانت تباع رسميا في الأسواق). سيتم إثر ذلك اعتقال ناظم حكمت فوراً، وستوجه له تهمة تشجيع الطلبة علي العصيان وقلب نظام الحكم. في 29 مارس 1938 ستصدر محكمة عسكرية الحكم ضده: السجن لمدة 15 سنة. بعدها بأسابيع سيتم اعتقال مجموعة أخرى من

جنود الأسطول البحري، ليجدوا بحوزتهم أيضا نسخاً من دواوين ناظم حكمت الشعرية. وهكذا سيتم تلفيق تهمة إضافية له، هذه المرة بحجة تشجيع العصيان في صفوف أعضاء القوات المسلحة في الأسطول.
سيتعرض بعدها ناظم حكمت الي سلسلة مهينة من محاكم عسكرية صورية متنقلة بين أنقرة واسطنبول بل وحتي في بحر مرمرة (تم حبسه في مرحاض باخرة حربية لأكثر من إسبوعين)، الى أن تمّ إصدار الحكم بتاريخ 29 اغسطس 1938: السجن لعشرين سنة. سيتم دمج وتعديل الأحكام في القضيتين، لتصبح المحصلة النهائية التي علي ناظم أن يقضيها في السجن 28 سنة. فشلت كافة محاولات الاستئناف. فالهدف كان القضاء علي ناظم حكمت بشخصه، وليس فقط علي أفكاره. شكّل ذلك صدمة نفسية مؤلمة له في البداية، وإحتاج لوقت حتي يتعافي من آثارها، ويواجه التحدي الكبير: كيف سيقضي تلك الفترة الطويلة (28 سنة) خلف القضبان؟ سيدهشنا ناظم حكمت بكيفية إجابته علي هذا التحدي الصعب الذي وصفه رفيقه في السجن، الفنان التشكيلي "عابدين دينو" علي النحو التالي: «أن تكون في «الداخل»، فذلك لايعني فقط أنك محاط بالشرطة والأبواب الحديدية لسجن بورصة، بل هو أيضا ظاهرة «إنحباس» ذهني، لا يمكن التغلب عليها إلا بنضال يومي شاق".
في أواخر 1940 سينقل ناظم حكمت من أنقرة، الي سجن بورصة، الذي شبهه ناظم في إحدى رسائله " بالطائرة الحجرية"، حيث تقع زنزاته في الطابق الثالث، في ذيل تلك الطائرة (هدم السجن في التسعينات، ومكانه حاليا ينتصب مبنى القضاء). علي الفور سيشرع بالقيام بأنشطة يومية يمكننا تلخيصها وفق منطق: علّم وتعلّم. أي كان المدرس والتلميذ في آن واحد. ما يثير الدهشة هو تنوّع الأنشطة التي شغل نفسه بها: في الصباح كان يعمل في رسم "البورتريهات" للمساجين، بالإضافة إلى شغفه بحرفة حياكة القمصان حيث كان ينسج أكثر من نوع من الأقمشة في القميص الواحد في نشاط "تجريبي" يحاكي ربما ما كان يسعي إليه في الحداثة الشعرية. ها هو يقول في إحدى رسائله: «نسجت قميصاً ناعماً جداً، نصفه من الحرير ونصفه الآخر من القطن. كل ذلك من إختراعي الخاص... لقد إخترعت حريراً ديمقراطياً! «. يعلق أحد رفاقه لاحقاً بقوله: «كل ناظم هنا، في هذه العبارة. إنه ينسج الحرير في السجن، بالشغف نفسه كما ينظم الشعر».
في المساء كان يعلم رفاقه مبادئ الاقتصاد السياسي، وفي الليل يجلس للكتابة (ترجم في السجن رواية الحرب والسلام لتولستوي). كل هذا النشاط تمّ في خضم علاقات إنسانية واسعة نسجها ناظم مع المئات من المساجين. من هذه العلاقات نحت ناظم لاحقاً شخصيات أعماله الأدبية وخاصة ملحمة "مشاهد إنسانية من وطني". إذا كانت السلطات قد منعته من شعبه، فإن ممثلي مختلف كادحي الأناضول قد تدفقوا اليه في هيئة مساجين. ليس من المستغرب أن تقول كاتبة سيرة حياته "موتلك بليزنغ" بأن "ناظم حكمت الذي نعرفه تشكّل في سجن بورصة".
يقول في إحدى رسائله إلى صديقه الروائي كمال طاهر: "إني أبحث عن وسيلة للتعبير عن الواقع بشكل أرقى، وأكثر صحة، وأكثر جدارة بهذا الواقع ... أنوي أن أكتب قصيدة فلسفية طويلة.... يا كمال يجب أن نكتب أجمل قصائدنا، أجمل حكاياتنا .. سنقول للشعب التركي أجمل الأشياء التي نملك أن نقولها له" في رسالة أخرى يقول: «بالرغم من عذاب يعصف في أعماقي، أرى الحياة جميلة... أحمل إبتسامة الذي يعرف بأنه الضاحك الأخير." كل هذا التفاؤل وحب الحياة سيترجمه ناظم في نشاط دؤوب لكتابة عمله الملحمي "مشاهد إنسانية من وطني".
علاقتي بهذا العمل ترجع إلى عشر سنوات مضت، وأدين بها الي إحدى مصادفات السفر السعيدة والنادرة. فأثناء توقفي في رحلة ترانزيت بمطار اسطنبول استغرقت عشر ساعات، لفت نظري كتاب علي غلافه صورة ناظم حكمت واقفاً في باحة السجن وخلفه جنديان. كانت لقطة فوتوغرافية مذهلة، فعيون ناظم تنظر مباشرة إلى الكاميرا، أي كانت تنظر إلى كل من سيلمح الكتاب. شدّني العنوان "مشاهد انسانية من وطني" بترجمة انجليزية من "راندي بليزنغ" و"موتلو كونوك". اقتنيت الكتاب فوراً، ولا أتذكر بعدها كيف مضت العشر ساعات، بعد أن خطفتني صفحاته.
سيرتبك ويندهش أي قارئ لهذه الملحمة منذ السطور الأولى، فما سيقرأه لن يشابه أي شئ قرأه سابقا. "الذي أكتبه حاليا ليس كتاب شعر. نعم فيه عنصر شعري، ولكن يوجد فيه أيضاً بالمقدار نفسه نثر ومسرح وحتي سيناريو». هكذا يشرح ناظم عمله، ويضيف لاحقا: «إقرأها ببساطة شديد كما لو كنت تقرأ نثراً». ناظم حكمت يوزع الكلمات على الصفحة بصورة تجبر القارئ علي الإبطاء، أو الإسراع في قراءة النص، مثل عدسة الكاميرا السينمائية. اسلوبه قصيدة نثر بصرية، كأننا نقرأ سيناريو مشاهد سينمائية. من هنا ننبهر بجمالية النص وغرائبية تركيبه. في هذا العمل سيذهب ناظم إلى الحدود القصوى في حداثته الشعرية: دمج الأجناس الأدبية في توليفة أوركسترالية: شعر، نثر، رواية، قصيدة، سيناريو سينمائي.
ملحمة "مشاهد إنسانية من وطني" مكونة من خمسة كتب، كل واحد يتبع سياقاً مختلفاً عن الآخر. في الكتاب الأول نتتبع مسار قطار ينطلق في رحلة من محطة "حيدر باشا" في اسطنبول متجها إلى أنقرة. المسافرين في عربة الدرجة الثالثة غالبيتهم من المساجين الذين يتم ترحيلهم الي أحد السجون. يسرد ناظم حكمت برهافة شاعرية، وعين سينمائية، تفاصيل رحلة القطار البطيئة ومشاعر وأفكار وحوارات المساجين خلالها.
الكتاب الثاني ينظر إلى عين الرحلة ذاتها من منظور مسافري الدرجة الفاخرة، الذين يمثلون أثرياء وأعيان المجتمع التركي. يبدو أن ناظم حكمت كان يسعى إلى تصوير حداثة المجتمع التركي في النصف الأول من القرن العشرين عبر الاستعانة بمجاز السفر في عربات القطار.
أحداث الكتاب الثالث تجري في السجن والمستشفي، بينما يركز الكتاب الرابع على وصف معاناة الفلاحين واستغلالهم من قبل الاقطاعيين والدولة. الكتاب الخامس هو الأقصر من ناحية الصفحات ويتضمن مشاهد عن الفقر والأسى في اسطنبول.
خصائص المكان الذي تتواجد فيه الشخصيات ستحدد اسلوب السرد الروائي، ففي حين ستبدو المشاهد خاطفة وانسيابية في رحلة القطار ،سنجد في الكتاب الثالث تركيز علي تشخيص الحالات النفسية للمساجين والمرضي وسعيهم للتأقلم مع وضعهم.
استغرق ناظم حوالي خمس سنوات في كتابة هذه الملحمة، وكان يبعث بفصولها الي صديقه "كمال طاهر" و زوجته "بيرايه" التي كانت تتغزل فيه بقولها: «أنت عذب كسهل بورصة حيث ينبت كل شئ بسهولة، فأنت تستطيع أن تكتب كثيرا بعناء قليل".
ربما يكمن السر في حسّ التفاؤل الدائم الذي يتميز به: «عليّ أن أعيش أيامي على الأمل، لا على سماع الأخبار! "كما كتب في أحد مقاطع ملحمته. هذا التفاؤل كان يغذي صموده. في قصيدة له عن جبل " أولوداغ" يقول فيها:
«حدّقتُ في أولوداغ وجها لوجه لمدة سبع سنوات
كلانا لم يتحرك من مكانه!"
سيطلق سراح ناظم حكمت في 1950 بعد أكثر من إثني عشر سنة قضاها خلف القضبان، طبق خلالها ما سبق وأن قاله في إحدى قصائده في 1948: "ليس المهم أن يعتقلوك.. الأهم أن لا تستسلم!".

بيتنا ليس للبيع!

بـــأم عينـــــي ١٩٤٨

زهراء المنصور

قالت له عبلة، صديقته: «بنرتّبها"!

أحداث حقيقية خاضها غنام صابر غنام، وأقصد أن أجعل من لفظة "خوض" التي تتسق مع قوة مفردة «بأم عيني» التي اختارها عنواناً لعرضه/ لمغامرته، بوَحي من عنوان كتاب للمحامية الإسرائيلية فلتيسيا لانجر "with my own eyes، between fact and fiction" التي أوردت فيه بعض مظلومية الفلسطينيين في محاكم الكيان، وأراد هو أن يكون شاهد عيان يسرد أحداثاً وشخصيات حقيقية. ومن أقدر من الفلسطيني على تجسيد ما لا نراه على أرضنا هناك؟

أعلن هو، بعد العرض المسرحي لـ"سأموت في المنفى" مع الطلبة في جامعة داخل فلسطين، أنه سيعود مباشرة لوطنه –بدل فاقد– الأردن، الذي يحمل جنسيته، كما هو حال فلسطينيين كثر هناك؛ بينما –في الواقع– رتبت له تلك العبلة كل تفاصيل الرحلة التي عاشها المتلقي في مكان العرض، وعن بعد، كما فعلت أنا عندما قررت الكتابة الآن، وهو ما يخالف الأمانة النقدية للمسرح تحديداً، في الكتابة عن عرض مشاهد عبر وسائط، رغم أن الكتابة هنا "إحيائية"؛ تهدف إلى مساندة القوة الناعمة في الفن والمسرح خصوصا، وإن كانت هذه التكنولوجيا قد سهلت المشاهدة لعروض من كل العالم، إلا أن من الخطورة الحكم على عروض المسرح من دون حضور مباشر؛ نظراً لما تحتويه من حيوية، وحياة، وتكوين، لا يمكن أن تلقطه كاميرات الفيديو بسهولة، مهما بلغت دقتها، ولا يمكن بالتأكيد التقاط شعور الممثلين، ولا تأثير عناصر السينوغرافيا عليهم.

لكن ما يمكن للكاميرا رصده، ولو جزئياً، هو ردة فعل الحضور الذين يشاهدون العرض على الأغلب لأول مرة، وكما شهدته بنفسي في العرض الأول لـ"سأموت في المنفى" على هامش إحدى دورات مهرجان خالد بن حمد للمسرح الشبابي، وبعدها في جامعة القاهرة، ثم في شرم الشيخ، هكذا بدون تخطيط مني. كيف كانت الحيوية قبل حضور العرض؟ وكيف ظهر الجمهور الذي لم يغيبه إظلام أو إيهام أنهم داخل العرض، ثم التأثر الذي مازج بين التصفيق الشديد، والوجوم الممتزج بدموع بعضها ظهر وبعضها تحجر لعمق الغصة؟ ليست قضيتك وحدك يا غنام.

والأمر الآخر أن عرض "بأم عيني"، المستكمل لمسرحيته الأولى، لا يخضع للشروط الأخرى التي يخضع لها أي عرض مسرحي؛ لأنها ببساطة مختلفة عن السائد، وتكاد تحمل منهجية تخص غنام وحده، بطلها الذي وضع وحده كل العناصر المطلوبة للعرض؛ في التأليف، والتمثيل، والإخراج، يصفها هو بـالبُعدين: بُعد مع الجمهور، وبُعد مع الحكاية التي تُسرد بمتعة وألم في ذات الوقت، أو كما أطلقت عليها إذاعة مونت كارلو "مسرح الشهادة"، في مقابلة قصيرة معه بمناسبة العرض الجديد. والمشاهدة عبر الوسيط لا تختلف –تقنياً– عن المشاهدة المباشرة هنا. فالكاميرا موجهة عليه طول الوقت، وهو مجرد بلا عناصر مسرحية مساعدة، سوى استعانته بمعطف وقبعة من الجمهور الحاضر، ليتقمص شكل غنام وهو داخل لأرضه، يقضم تفاحة بلا مبالاة حسب أوامر سمير وعبلة وآخرين، حتى يعبروا بسلام من نقطة التفتيش الموجودة! وقمة العبث أن أدخل إلى أرضي بالتهريب.

وكما فعل في عرض "المنفى"، تخلى كذلك –في هذا العرض– عن العلبة الإيطالية التي لا تتناسب وموضوعه؛ حيث يقترب من الناس أكثر، عبر حلقة دائرية لا يتخلى فيها عن شخصيته الحقيقية، ويروي –بصفته الفلسطينية– ما يستحق أن يُروى، وما نحب نحن أن نسمع عن الأرض المغتصبة المحتلة. ومنذ تفتح وعينا على الحياة وقبلها، منذ سنوات

الحفظ الأولى في المناهج المدرسية، وشكل الخريطة المحفوظ في ذاكرتنا، والانتفاضة التي بدأت بحجارة تنفّس عن غضب كامن؛ قيد لم يسمح له بالتعبير والظهور، وعن تصوير لمناظر جميلة قيل لنا إنها في فلسطين، دون أن يسمح لأحد بمقارنتها في الواقع.

ومستمراً يروي مثل شاهد عيان بأم عينه ما رأى، دون أن يدرج هذا تحت أي تصنيف مسرحي، موكلاً هذه المهمة للنقاد والباحثين، وأيضاً المتلقين الذين يشاهدون هذا العرض في أماكن عرضه الكثيرة، والذي نوّه عنه في العرضين المذكورين: أنه يقبل بالتداخل والتقاطع في أي وقت يشعر الحضور بذلك، ويحفز الجمهور ليغنوا منه الأناشيد الثورية التي يحفظها الجميع ويألفونها، أثناء السرد الذاتي على حد تعبيره. وجدير بالذكر أنه انطلق بهذا العرض قبل السابع من أكتوبر، الذي سيشكل انعطافاً تاريخياً في مسير هذه القضايا –أياً كانت التبعات–، هذا الحدث الذي أعاد الصدارة للقضية الأولى، بعد أن تكالبت المصائب في الأرواح والأمكنة لهذه الأمة التي يعرقلها سوء التخطيط، وانخفاض معدل الحزم، والقلق الدائم من تقلص المصالح وانحسار الفوائد.

وفي رحلته التي التقى فيها بناته وأحفاده بعد طول غياب، وهو سبب رئيسي للمغامرة، إلى جانب أسباب أخرى؛ فالطرفان محكومان بقانون المحتل الذي يحكم الدخول والخروج، ويقصي ويهمش من يشاء، دون أي رادع من أي نوع. وعدا أنه يمارس حقه الطبيعي في زيارة فلسطين، فإن رحلته التي بدأها بعد اجتياز الحاجز بمدينة الناصرة، وتسائل بعد أن رأى "أن الأرض بتتكلم عربي"، كما غناها مكاوي، مثل أي مدينة عربية أخرى. فأين هو الاحتلال، إن لم يكن المحتل في مثل هذه التفاصيل؟

ومن الناصرة لحيفا وعكا على التوالي، مصطحباً كل من تتوق نفسه زيارة فلسطين كما يعرفها أهلها. بيت غسان كنفاني، الذي غادره قسراً وهو ذو اثني عشر عاماً في العام 1948م إلى يافا، قبل أن يسوقه القدر إلى مدن أخرى، طابقان من حجر أحمر، محتل من قبل أغراب، يتضايقون بشكل مضاعف من تصوير العامة للبيت؛ لأنهم ما زالوا يطلقون عليه ببساطة: بيت غسان كنفاني، ولا حقيقة ستغيره في الوجدان! وبيوت كثيرة في الأراضي المحتلة، التي يسكنها مؤقتون هم ذاتهم متيقنون من هذا، رغم رد أحدهم على مواطنة حينما واجهته بأنه يحتل بيتها، فيرد بوقاحة لا نظير لها: «إن لم أكن أنا، سيكون غيري!". أي إحساس بالأمان في منزل مغتصَب، وأصحابه موجودون داخل أو خارج فلسطين، يتمنون الرجوع إليه في أقرب فرصة، والطرف الآخر يمارس حياته الطبيعية؟!

ويحكي عن مقبرة الشهداء عطا الزير ومحمد جمجوم وفؤاد حجازي، الذين أعدمهم الإنجليز في العام 1930م لأنهم معادون لهم وللاستعمار الصهيوني قبل أن يستفحل في المكان، ومازالت قبورهم مبنية بعناية، وحرص أهل عكا على تجديدها سنوياً، حتى لا يتقادم الحدث فتقدم الشخصيات الاعتبارية لتضحياتهم وجسارتهم. كما وثقهم إبراهيم طوقان في قصيدة ما زالت تتردد لتخلد ذكراهم، حتى يصبحوا أرواحاً تتلبسها أجيال أخرى. وكمثل ذاك الصبي الفلسطيني في مقابل الميكروفون الذي سأله المذيع عما يحب أن يكون حين يكبر؟ فيجيبه بعد برهة إن الفلسطينيين يموتون باكراً، وبالتالي هم لا يكبرون!

أو عن صاحب الفندق في الناصرة، الذي طلب من غنام معاودة الزيارة، وطلب أيضاً –بحكم سلطته "المتخيلة" كفنان معروف– أن يخاطب المعنيين في الدول العربية لكي يتركوهم وحسب "يدبروا حالهم"، بدل التدخل غير المجدي في المسألة التي لا تخرج بنتيجة على الإطلاق، غير البيانات الكلامية التي لا تغير إلا للأسوء. حدث غنام جمهوره عن جبل القفزة، وسعيد سلامة فنان البانتومايم، وسعيد في مطعم الحمص الشهير بتل الفخار، وتمثال نابليون بونابرت الذي لم ينجح في "السطو" على غزة منذ ذاك الوقت؛ إذ إن هذا التل في هذه المدينة الساحلية هو من صنعه ليستطيع القصف من أعلى نقطة، فانهزم. وتمثاله تكريم من أولمرت رئيس وزراء الكيان سابقاً، لفكرته المسبقة عن وعد بلفور في إقامة وطن يجمع كل المشتتين هنا! فكيف يرتبط اسم من تورطت يده بالدم، والظلم، والعنصرية، والتنكيل بأهل البلاد الأصليين؛ بمسألة التنوير، كما تطلق عليه بعض البلاد؟

في عرض "المنفى"، كان غنام يتخيل موته بعيداً عن أرضه، وسط أصوات أصدقائه الذين سيضحكون لو بدأ الملقن عمله، وصوت ابنته عبر هاتف أخيها غسان الذي سيحضر الحدث متأثراً بهذا الفقد، ووصف بقية الحضور. قد يكون هذا حقيقياً؛ لأنه يعرف من حوله جيداً، لكن تفصيلة فارقة واحدة نأمل أن تتغير: المكان؛ سيكون في هذه الأرض، حين تنتهي رحلة الحياة في مكانه الطبيعي، شجرة تنبت مزيداً من الفلسطينيين من أصحاب الأرض، وتعامل الاحتلال كما باحت له إيفا ابنته: "كبره بيكبر.. صغره بيصغر!".

عن تعدد الصور الأسماء والشخصيات والأحداث المتلاحقة أثناء وجود غنام في مكانه الأصلي، عن فلسطين الموجودة في كل عبارة قربت للمتلقي المسافة. وعن الرحلة/ المغامرة الممتلئة بتفاصيل تعرفها، أو تعرف جزءاً منها، أو حتى تسمع عنها أول مرة، رحلة تأخذك إلى حلم، ودعاء، وأمل بزيارة هذا المكان. لكن المحاكاة أوصلت للمتلقي تلويحة؛ بأن هذا يمكن أن يحصل لنا أيضاً؛ أن نزور هذه الأماكن بمسمياتها الأصلية وبأهلها الأصليين، ونتذكر من كانوا هنا يوماً، وتناثروا مجدداً من حيث أتوا. يجوز أن يكون الآن، أو الجيل الآتي، أو خليط بين جيل شهد وجيل يقرر أن ينتصر لقضيته بفعل مبني على قوة.. المهم أن يغني في وجه معترضه، كما حفيدته ذات السنين الخمس: "أنا دمي فلسطيني".

حكاية «حارس الأوهام»

إذا اجتمعت قصّة استثنائية عن حياة لم تكن عادية، مع لغة ساحرة بشاعريتها وجملها التي ستصبح مقولات أشبه بالحِكم. فالناتج عن ذلك سيرة روائية ممتعة حدّ الدهشة. تشد قارئها بتفاصيلها المشغولة بأنامل متمرّسة تعرف كيف تبقي شعلة التشويق متقدة إلى آخر كلمة، وتجعله يحاول التكهّن أين تنتهي الحقيقة وأين يبدأ الخيال، وهل ما بين يدي القارئ سيرة تلخص حياة صاحبها، أو رواية متخيّلة أقنعتنا كاتبتها أنها ابنة الواقع.

د.بروين حبيب

هذا ما فاجأتْ به الروائية الجزائرية «أحلام مستغانمي» قرّاءها بعد طول انتظار في «أصبحتُ أنتَ» الصادرة عن دار نوفل ببيروت. فلم تكتب صاحبة «ذاكرة الجسد» هذه المرة رواية عمودها الفقري الحب، ولا حتى عادت إلى شغفها الأول الشعر الذي صاحبته وهي صغيرة. بل كتبت سيرة روائية كما جاء على غلاف الكتاب. تناولت مثلّثا تُمثّل الكاتبة ووالدها وبلدها أضلاعَه الثلاثة. وعبر حكاية رجل من زمن آخر أشبعت أحلام مستغانمي فضول قاعدة قرائها الكبيرة بما لم يكونوا يعرفونه عنها، وأزَّخت لنفسها بالتوازي مع قصة والدها من بداياتها إلى وفاته التي تزامنت مع صدور «ذاكرة الجسد» الرواية التي صنعت مجدها الأدبي سنة 1992.

هي حكاية أحد مجاهدي الثورة الجزائرية –التي أدهشت العالم في منتصف القرن الماضي ببطولاتها وتضحياتها– يدعى «محمد الشريف مستغانمي» أرادت ابنته أن ترد له الاعتبار بعد أن أوصله صراع الإخوة بعد نجاح الثورة إلى حافة الجنون، فدخل مستشفى الأمراض العقلية، لأنّ الحلم الذي ضحى لأجله بأجمل سنوات عمره نفياً وتشرّداً وسجناً وفقداً للأحبة رآه يتكسّر على واقع مناقض لكلّ ما كان يأمله. وأرادت الإبنة أيضا أن تردّ له الفضل في كل نجاحاتها، بل رأت نفسها نسخة منه طبق الأصل، صرحت بذلك علانية في عنوان الكتاب «أصبحت أنت»، ولعل أكثر ما حزّ في نفسها أن والدها لن يستطيع قراءة ما كتبته عنه، وذكرت حسرتها هذه في أول جملة من كتابها حين قالت «ما جدوى ما أكتبُ ما دام ليس في المقابر مكتباتٌ ليقرأني أبي».

تروي «أحلام مستغانمي» في سيرة والدها أو سيرتها أو حتى سيرة وطنها لا فرق، الحكاية من بعد انتصار الثورة الجزائرية وانتقالها مع أسرتها إلى السكن في العاصمة في شقة مستأجرة في بناية قرب قصر الحكومة حيث كان يعمل والدها. وترسم بدقة لوحة للأماكن المحيطة ببيتها الجديد، وتحكي سيرة ساكنيه الفرنسيين الذي استعجلهم استقلال الجزائر على الرحيل. ومن خلال نماذج من جيرانها وهي نماذج نسائية نرى التناقض في تقبّل فكرة خروج الجزائر من عباءة الاستعمار الفرنسي، وما انتاب هؤلاء النساء من مشاعر الخوف حيناً والحقد حيناً آخر، ولكنهن في الأخير لا يملكن سوى الرحيل لأن أصحاب الأرض استردوا حقوقهم، وإن كانوا فوضويين أو لم تهذبهم الحضارة فحتى هذه الصفات المستبشعة وليدة ليل الاستعمار الطويل، فهم في الأخير «خريجو جبال لم يجلسوا منذ قرن على كرسي».

هذه السيرة الروائية هي حكاية «الطموحات المحبطة» –كما عنْوَنَ ألبرتو مورافيا إحدى رواياته– وما تفعله بأصحابها. فحين يعطي رجل حياته لقضية حالما بغد أفضل، ثم يجد أن رفاق الدرب يتقاتلون على توزيع المغانم، ويلطّخون بياض الثورة بسواد المطامع، لا يبقى أمامه إلا سبيلان: أن يلامس الجنون أو يغتاله الذين انحرفوا بالثورة عن مسارها، وهذا ما تعرّض له والد الكاتبة من محاولة اغتيال أوصلته إلى مستشفى الأمراض العقلية، ليترك عائلة تعتمد في معيشتها –بعد أن أوقف راتبه– على مكنة خياطة الأم وعلى موهبة فتاة مراهقة تقدم برنامجاً شعرياً ليلياً أكسبها شهرة دفعت ثمنها غاليا في مجتمع ذكوري محافظ.

ولم يعان الأب وحده من جزائر ما بعد الاستقلال فابنته التي كانت ضمن أول دفعة معرّبة في المدرسة الجزائرية عانت أيضا، فوالدها الذي أراد لها أن تحقق ما لم يستطع تحقيقه هو من إتقان اللغة العربية كما كان يتقن الفرنسية ويحفظ قصائد شعرائها، وحماها مرارا ودافع عن حقها في الكتابة ورعى موهبتها واعتزّ بها، لم يكن يعلم أن ابنته دفعت ثمن ذلك حيث تسببت شهرة برنامجها الإذاعي في طردها في آخر فصل دراسي من البكالوريا نتيجة حقد مديرة أكلتها الغيرة من نجاح تلميذتها. واعتُبر وجودها غير مرغوب فيه في مؤتمر اتحاد الكتاب العرب المنعقد في الجزائر، لأن دينصورات الثقافة المكرسة آنذاك استكثروا على شابة صغيرة أن تصدر ديوانا وتقدم برنامجا وتكتب في الصحف. لتكتمل دائرة العقبات برفض قسم اللغة

العربية بكلية الآداب أن تتابع دراستها العليا مما أوقد نار التحدّي بين جوانحها، فسافرت إلى فرنسا ونالت دكتوراه في علم الاجتماع بإشراف وتقديم المستشرق الكبير ومترجم القرآن إلى الفرنسية «جاك بيرك».

تفاصيل الكتاب كثيرة نتعرف من خلالها على «أحلام» الطفلة والمراهقة والطالبة والعاشقة وبدايات كتاباتها. في زمن كانت الأحلام فيه أكبر من الواقع وفي بلد يرى النور بعد قرن وثلث من ظلمة الاحتلال، ويستفيق على صوت عبد الناصر وأغاني عبد الحليم التي أولعت بها أحلام مثل بنات جيلها، وترافَق ذلك مع أول حبّ في حياتها لأستاذها المصري للغة العربية، وهو فصل أجادت ربطه مع أغاني عبد الحليم ومشاعر الحب الأول وأوهامه. وكشفت فيه عن قدرة فائقة على الكتابة الساخرة لم تظهر من قبل في رواياتها. فرغم الحكايات المؤلمة التي حفل بها الكتاب عن رجل أقامه حبه لوطنه على تخوم الجنون، لا تخلو هذه السيرة من طرافة بعض قصصها كالببغاء الذي كان أول عاشق لأحلام والذي نالت بسببه علقة من جدتها.

وهناك أيضا الفصول التي أنسنت فيها الأشياء مثل المقاطع المطولة التي كتبتها عن الحَمام الذي كان يستوطن حديقة الساعة المجاورة لشقتهم التي اقترحت فيها «على المخابرات العربيَّة أن تتحالف مع الحمام، فهو أخطر من عصافير تويتر المغرِّدة التي تتجسَّس عليها، وهو قادرٌ على سماع أصوات منخفضة لا يمكن للبشر سماعها»، أو الفصل الذي تحدّثتً فيه عن الحقائب، وربطت الحميمي بالوطني حين تعرضت لمن عرفوا ب«حاملي الحقائب»، وهم المثقفون الفرنسيون الذين تعاطفوا مع الثوار الجزائريين وساعدوهم وتحملوا لأجل ذلك السجن. دون أن نغفل مقاطع تجمع بين الطرافة والنظرة الفلسفية حين تتحدث عن عشقها لحلويات الميل فوي (الألف ورقة)، وهو ولع امتد من طفولتها إلى دراستها في فرنسا حيث كانت توصي أخاها أن يجلبها لها من الجزائر، وما ذكرته عن فلسفة الحلو بلسان أبيها «إن أردنا أن نحتفظ بالمذاق الحلو علينا ألّا نشرب، وهذا مستحيل... كل ما هو حلو يليه الندم، لأنه لا يبقى في الفم».

تجيد «أحلام مستغانمي» أسر قارئها بسرد متماسك مطعّم باستشهادات مختارة بعناية لرسول حمزاتوف ومالك حداد ونزار قباني وغيرهم. وبجمل تعوّدها القارئ منها تصلح أن تكون حِكَما يُستشهد بها، يتناقلها القرّاء كأنها معالم على خريطة الحياة، من ذلك تفسيرها للرائحة بأنها « اعتذار عطر لم يحضر فناب عنه حضن غير مرئي يُشم»، أو «الكتابة إعادة تدوير للخسارات» وعشرات من أمثال هذه المقولات التي ستجد لا محالة طريقها بيسر عبر التغريدات في وسائل التواصل الاجتماعي.

تختم أحلام سيرتها الروائية برسائل حب أرسلها والدها إلى حبيبة يوغسلافية عاش معها قصة حبّ وأدتها ظروفه وزوجته، ولا ندري هل كتبها الوالد بأسلوبه وقد كان يكتب الشعر بالفرنسية، أم صاغتها أحلام بحرفيّتها على لسانه. أعقبتها بخاتمة وجدانية أعادتها بعد سنوات إلى حيّها القديم مستحضرة خالد بطل روايتها «ذاكرة الجسد» في تماهٍ يصل حد التطابق مع والدها الذي كتبت سيرته وسيرتها عبره، فهما الاثنان ليسا سوى «يتامى الحبّ وحرّاس الأوهام».

فاطمة محسن

أركضي

ارکُضي ياوجعَ اللهِ على الأرضِ اركضي
ارکُضي قلبُكِ مهزومٌ
ورجلاكِ على قارعةِ الخوفِ
اركضي
ممّ تخافينَ
انفجارٌ ؟!
أو حريقٌ
غرزُ سكين ؟!
اندلاعُ الموت ؟!!
أصواتُ الثَكالى ؟!!!!

لا تخافي كلُها للموتِ آية
اركضي
صمتُنا يشبهُ صمتَ الموتِ
في قافلةِ الفقدِ وتَرحالُ
الكلام
اركضي قبلَ زوالِ الفحمِ عن وجهِ صغيرِكِ
ربما ساومتِ عزرائيلَ كي يُبقيهِ ساعةً
فتغنينَ لهُ
أُغنياتٍ عن بلادٍ لم نعدْ نعرفُ إن كانت بلاداً
أو جحيما

نص: مهدي سلمان

وجه بومضة

تهزّ بأذيالها سقفَ غزّةَ
تطفو على كيسِ مرمرهِ الطائراتْ
لهاثُ أصابعها،
ورطوبةُ غزّةَ في صيفِ آب
أرقمانِ ينثّانِ سمّهما في السحاب.
***

(شهيدٌ على زندِ جبريل
متكئٌ ويسرّح شعرَ الغياب)
***

(صبيٌّ على ناصية
يبيع العصير، ويطرد عنهُ الذباب)
(وحلمٌ طريدٌ يفتّش عن نومِهِ
في الرؤوس الصغيرة..
ثم يضيع برأس المدينة)
***

(وعشر أغانٍ حزينة)
(وقابلةٌ ولّدت ذكراً من كتاب)
وما زال يرعُشُ سقف المدينةِ، والطائرات.
***

ولا نهر يغسلُ وجهكِ غزّةَ
غير اسمكِ الهرميُّ
وعرسٌ فقيرٌ
على حفرةِ الناي
غير ابتسام الرضيع المحيِّرِ
حين تحاصرهُ الطائرات.
***

ووجهُ القتيلِ
صلاةٌ إذا حانَ موعدها
أيقظت دمها في الضحيةْ
***

وغزّةَ سيّدةٌ
لا تَعُدُّ
إذا طارَ آباؤها ريشَهم
بل تلملمهُ،
ريشةً.. ريشةً.. في انتظار المآب.
***

لأنَ لغزّة
وجهينِ في الاسم
خلّ الحروف بأسمالِها
لأن لغزة
شعرا كثيفا كجدّتها،
لا يُداهنُ في رسمِ صورتِهِ
خلِّ صوتكَ منخفَضاً

ربما
تتسمّعُ
صوت
الرصاصةِ
متّجهاً نحوها في هدوء.

***

الطريق الطويل
يحدّقُ في سقف غزّةَ
والطائراتُ تُرقِّصُ أذيالها قلقاً
والشهيدُ يهيئ موسمهُ للجنازةِ

والنعشُ سارَ على قطنه في ثباتْ
وغزةَ تبصقُ شمساً على كلِّ عينٍ
مخافةَ أن يحسدوها
وما زالَ يرعشُ سقفُ المدينةِ، والطائراتْ.
***

تمسكُ الطائرات
بأطرافِ فستانِ غزّةَ عند الزفاف
وللآن
لم أدرِ ممّ تخاف ؟؟
***

وكانت يداها ترمّمُ ليلاً
وخامتها الشهداءُ
يسيرونَ في قمرٍ

وحدها الطائراتُ تحطُّ على جثّةٍ
عندما يخرج الشهداء
لدفنِ التراب

والشهيد الذي
سوف يغدو شهيداً
يُبادلُ حين ترفرفُ ذاكرةٌ
فوق هدأةِ أنثاهُ
عشق النحاس
بِبُردِ يقينِ الضباب.

فتُخرجُ غزّة منها يديها
تلوّح للطائرات المُغيرة:
مرّي هنا، وهنا..
أنضجي شامتينِ بخدي..
فتفتحُ في صدرِ هذا الغزالِ المحاصرِ في قلبهِ

ألفَ بابٍ.
وما زالَ يرعشُ سقف المدينةْ.
***

أشارَ بخنصرهِ
فدغدغَ وجهَ السماء
***

كلُّ ليلة
غزّة يُفزعها حلمٌ واحدٌ
أنّها ربمّا.. سيمرُّ على كتفيها نهارٌ
بدونِ شهيد
فتستغفر الله
ثمّ تفزُّ لكي تتوضأَ من دمها
من جديد..
***

ملساءُ هذي الثواني
يبلّلها عرقٌ
حين تعبر أسطورةً
بين فخذينِ

يا وجهَ غزّة حدِّق
(بشبريّةِ) الظهرِ،
حدِّق بطلقةِ ليلٍ
بغارةِ فجرٍ
برائحةِ الطّلقاتِ

هنالكَ وهمٌ يلوب وراءكَ
كن كوكب الغرقِ المتحفِّزِ
كي تَسَعَ الطعنةَ القادمةَ
ويا وجهَ غزةَ كن
زهرة اللوتس النائمة
بأثوابِ أمّكَ
ما زالَ يرعشُ..
والطائرات.
***

يلينُ إذا مرَّ ضوءٌ

على بطنِ حبلى،
فيتركُ في فجوةِ السرِّ ظلاّ.
***

وما زالَ
يرعش سقف المدينةْ

والطائراتُ تراودُ غزةَ عن نفسها
حين يهبطُ موتٌ
على حضنها كرضيعٍ
فتقرؤهُ واضحاً كالحَريقِ
ومستسلماً كسرابِ سفينَةْ
***

إلى أينَ يأخذ هذا الشهيد الصباحَ
ويمضي بغفلته؟
إلى أينِ يأخذُ رَمّانةَ الوجدِ
حاسرةً عن شغافٍ خفيفٍ
ويصعدُ سلّمَهُ؟

الطائراتُ
تفرّغُ أحشائها في يديهِ
فيرمقها ببراقٍ مضيءٍ
ويدخل في دمِهِ موصداً بابَهُ خلفنا
دونَ أن يكترث.

إلى أين يمضي؟
ومن أيِّ بابٍ.
إلى أين خلّفتنا يا شهيدُ
نصارعُ هذا اليباب!
***

وغزّة
تغلق نافذة اليوم
في وجهِ طائرةٍ أخلَفَت موعِدا
وتقول لها:
فرغَ الشهداءُ المقيمونَ من عرسِهم،
إن أردت
تعالي غدا.

التقدمي

التقدمي العدد 192 ـ نوفمبر 2023 السنة 21 SDPA 499

رئيس التحرير: د.حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

الجنائز مدائن

بتول حميد

وبكينا.. وبكينا
وعرفنا الضعف في أقصى ثوانيه
بل جثوْنا
نقر الأرق وجه الشراشف
أوقظت الويلات نساء المدينة
رفرفت في الهواء أزواج من حمام..
امتنعت عن الهديل / الكلام
يتولاها أنينٌ وحنينٌ لـ الرحيل:
ياوحيداً يا أحد
يارحيماً يا صمد!
...
صدفةٌ تتحد.. وأخرى تنفصل
أخرى تُولد
وأخرى تموت
وحين تتعذب بعد موتها صدفةٌ أخرى تتبجح
تختلف على البلح في نخيلٍ عاقرات
«ليست عاقراً من تحب
ليس عقيماً من يفي»
...
وكزتُ القلبَ أتحسسُ مكانَه وفي شفتي بسملة
رتقتُ الروحَ وفي زهرتِها يقترفُ الأملُ الغياب

كيف أنسلّ من بين جروح الوطن
أين أدسُ وجهي والجنائزُ مدائن؟
...
لم تألف الطفلة الغزاوية لغة الموت بعد
بكت غياب أمها
أفرطت في عناق دميتها
ونامت .. نامت للأبد
..
لا قرص موسيقي يدورُ في فلكي
أتلكأُ بصمتٍ مهيب
من وراءِ صوتِ المذياعِ الجريء
الـ يرصدُ عددَ القتلى
ويرقصُ على جُثمانِهم بعد ثوانٍ
بـ أغنيةٍ باردة..
...
أريدُ أن أبكيَ في حُضنِكَ
كجندي منتصرٍ بعد معركةٍ طاحنةٍ
استراحَ أخيراً واستسلمَ للبكاء
...
اكتبي الشعر أيتها البلاد
ولا تخافي من أقدام الحرب

وهي تهرس وجنتك
لا تَدَعي أحداً يفسد وداعة جفنك
وأنتِ تبعدين الدم عن وجه الوردة
وأنتِ تعيدين للطفل أطرافه
ليحبو قليلاً قبل أن ينبت جناحه!
وأنتِ تُكممين أفواه البنادق
بالقُبلِ والأغنيات..

اكتبي الشعر أيتها البلاد
قبل أن تربت النساء على كتف أم الشهيد
وهي تهز في حضنها مهد حفيدٍ لن يجيء
...
كناجيةٍ من الحربِ
تتقلبُ على فراشِ الندم كلَ ليلة
كطفلٍ يتوسلُ أمَهُ أن تفيقَ من الموت
كزوجةِ جندي لم يتبقَ لها منهُ إلا بندقيةٍ فارغة
لن أنتظرَ حتى تُقرَ لي بخيانته
تنفُثُ في أنفي عطورَهُ الرخيصة
تبكي لتُرممَ طينَ كبريائِها
سأقتلُ هذه الحياةَ بقدرِ ما ضاجعَها كلَ ليلة
هذا الحزنُ الفاحش
...
عذراً يا سيد «واقع»
كل ما في الأمرِ أننا نكبُرُ
يتقاعسُ عالمُنا عن النهوض
وحين نقفُ
يشدُ ياقةَ أحلامِنا
بربطةِ عُنقٍ ضيقة
تُخرسُنا عن الكلام

لماذا نُعطرُ ياقةَ الحُلم
والواقعُ ينحرُ عُنُق الحياة؟

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي

ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com